الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة بعنوان:

المقاومة العسكرية للاحتلال الفرنسي للجزائر بين 1830 و1883

من خلال كتابات المؤرخ محمد العربي الزبيري

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطلبة:

عبد الحفيظ براهيمي

عبد المجيد غندير عون

لزهاري صالحي

إشراف الأستاذ:

د.لزهر بديدة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
مُحَمَّد حركات	أستاذ مساعد (أ)	رئيسا
لزهر بديدة	أستاذ تعليم عالي	مشرفا ومقررا
الكاملة فرحات	أستاذة محاضرة (أ)	مناقشا

السنة الجامعية: 2024 / 2025

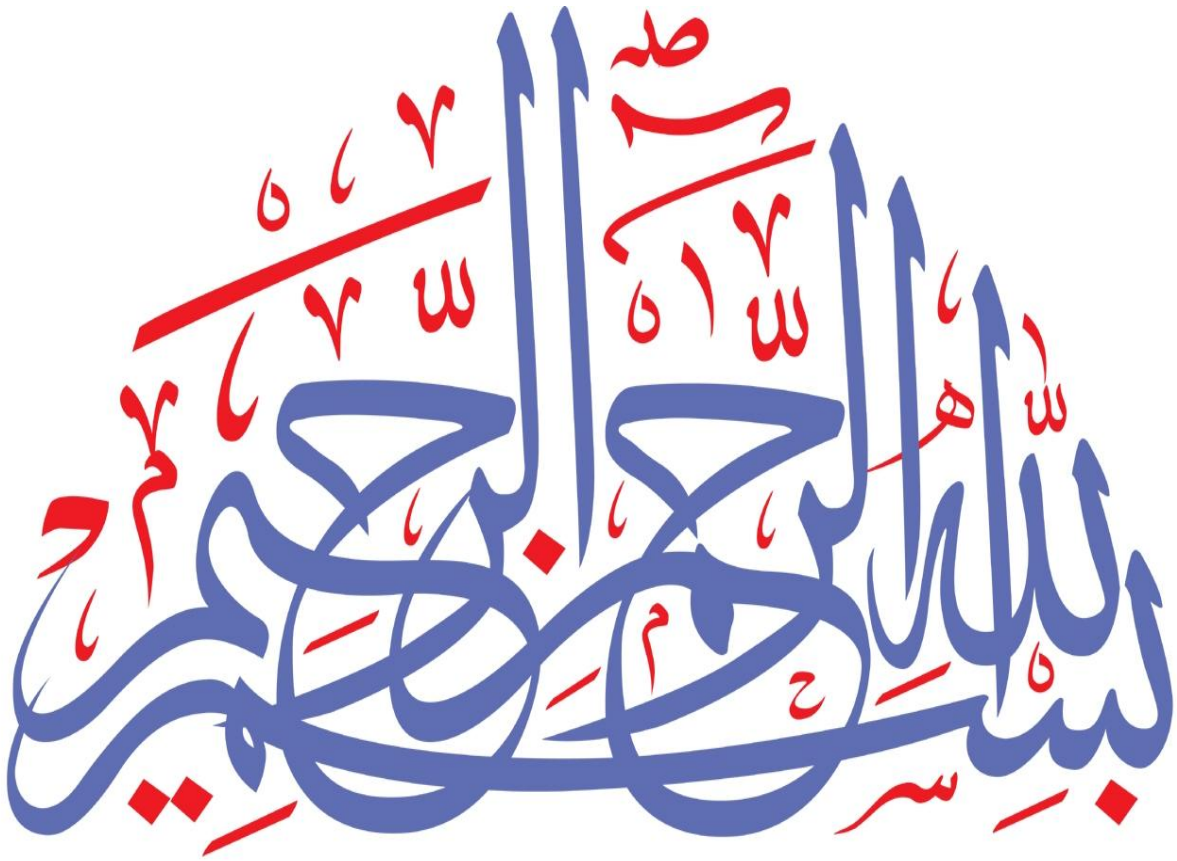
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من علّمونا أن السعي طريق النجاح، وأنّ العلم أساس التقدّم، إلى الوالدين العزيزين، الذين لم يبخلا علينا بشيء، وكانا سندنا ودعمنا في كل مراحل حياتنا.

إلى أساتذتنا الكرام، الذين غَرَسوا فينا حب العلم والبحث

إلى كل من ساهم بكلمة، بدعاء، أو بابتسامة صادقة،

نهدي ثمرة جهدنا هذا.

عبد الحفيظ
براهيـمي

عبد المجيـد
غنديـر عون

لزهـاري
صالحي

شُكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتحقق الغايات، والصلاة والسلام على خير الأنام، محمّدٍ صلى الله عليه وسلم.

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان لكل من كان له دور في إنجاز هذا العمل: إلى آبائنا الأعزاء وزوجاتنا الكريمات؛ دعمكم المعنوي والمادي كان الأساس الذي بُنِيَ عليه هذا الإنجاز، فلكم منا كل الحبّ والامتنان

إلى أستاذنا المُشرِف الدكتور "لزهر بديدة"، الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيّمة لآخر لحظة قبل تقديم هذا العمل، فله منا كل الشكر والتقدير

إلى أساتذتنا الكرام في كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، وبالخصوص أساتذة قسم تاريخ المغرب العربي المعاصر، الذين كانوا لنا خير مُعين،

إلى أصدقائنا وزملائنا، الذين ساندونا في كل لحظة، شكراً لكم.

ولا ننسى كل من قدم لنا يد العون وبالأخص الأستاذين "أنس مباركي" من ولاية بسكرة، وزميلنا "عبد الحي بكاكرة"، وكل من دَعّمَنا بكلمة، أو بدعاء، أو بتشجيع... فلكم منا جميعاً خالص العرفان.

مقدمـــــة

مرّت الجزائر منذ العصور القديمة بمراحل تاريخية هامة، وتعاقبت عليها حضارات وأحداث ساهمت في صقل مقومات الهوية لشعبها، كما تعرضت للاحتلال في كثير من هذه المحطات من غُزاة عملوا على نهب ما أنعم الله عليها من خيرات وثروات، وحاولوا طمس هويتها وترويض سكانها خدمةً لمصالحهم... لكن هيهات!! مازادهم ذلك إلا صلابة ووحدة وتمسكا بالهوية والحرية لطرد المحتل، توجوها بثورة المليون الشهيد ...

ولقد شكّلت المقاومة الجزائرية المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي مادة دسمة للمؤرخين والباحثين والكُتّاب الجزائريين منهم وغير الجزائريين، كما تعرّض تاريخ الجزائر ومقاومة شعبها للاحتلال إلى كثير من التشويه والتزييف نتيجة إجحاف بعض المؤرخين الغربيين ومن لهم نزعات سياسية وإيديولوجية مغرضة أمثال شارل روبير آجرون وشارل أندري جوليان وغيرهم ... لذلك نجد العديد من المؤرخين والكُتّاب الجزائريين مَنْ جنح عن الكتابة عن هذه الحقبة من تاريخ الجزائر، نظرا لشح المصادر التي يمكن الاعتماد عليها وتغييبها عن قصد أو عن غير قصد خاصة إذا علمنا أن معظم الأرشيف الجزائري الذي يخص فترة الاحتلال الفرنسي لم يَرَ النور ليومنا هذا ...

لكن ثُلّة أخرى من المؤرخين الجزائريين أبت إلا أن تتناول هذه الحقبة دراسةً ونقداً، ومن أبرزهم المؤرخ محمد العربي الزبيري، الذي أثرى المكتبات الجزائرية والعالمية بالعديد من الكتب والمؤلفات بمستوى علمي رفيع في محاولة منه (رحمه الله) لإحياء التراث الوطني المطموس في هذه الحقبة وتخليصه من التشويه والتزييف ليظهر تاريخ بلادنا في مظهره الحقيقي الناصع، وتنوير الرأي العام بحقائق تاريخ الجزائر ومقاومة شعبها المجيدة لطرد المحتل ونيل الحرية والاستقلال...

❖ **دواعي اختيار الموضوع:** ترجع أسباب اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم: "المقاومة العسكرية الجزائرية للاحتلال الفرنسي (بين 1830 – 1883) من خلال كتابات المؤرخ محمد العربي الزبيري"، إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية؛ أما عن الدوافع الذاتية فقد انجذب اختيارنا لهذا الموضوع وهو مقاومة الاحتلال الفرنسي، لدوافع شخصية وقناعة بأننا يمكن أن نتعمّق فيه خاصة، بما نملك من رصيد معرفي (متواضع) "كأساتذة تاريخ وجغرافيا بمرحلة التعليم المتوسط"، وميول وفضول راودنا للبحث في كتابات المؤرخ الغني عن التعريف،

والتعرّف أكثر عن منهجه في الكتابة التاريخية خاصة وأن الرجل لم تمض سوى أشهر معدودة عن وفاته رحمه الله.

وأما عن الدوافع الموضوعية؛ فتتمثل في أهمية الموضوع بالنسبة لتاريخ الجزائر المعاصرة وتسليط الضوء عن المقاومة الجزائرية المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم في الشرق والغرب وفي الشمال والجنوب، إضافة إلى محاولة منا في إثراء مكتبتنا الجامعية بهذا النوع من الدارسة، التي نأمل من خلالها فتح الباب لغيرنا للتوسع أكثر والتعمق فيه.

❖ **أهمية الموضوع:** تكمن أهمية هذا الموضوع من وجهة نظرنا في كون المؤرخ الزبيري على غرار المؤرخين الوطنيين الشرفاء تصدوا في كتاباتهم إلى الحملات المغرضة التي تعرض لها تاريخ الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي من تشويه وتزييف من بعض المؤرخين الغربيين ومن لهم نزعات استعمارية تبشيرية مقيتة، من خلال تمجيدهم للجلاد وتقزيمهم للضحية وإنكار دور الشعب الجزائري في الذود عن أرضه ودينه ومقومات هويته، واعتبارهم أن الاحتلال في تلك الفترة حتمية تاريخية!!

❖ **حدود الدراسة:** أردنا من خلال هذا العمل البحثي المتواضع، القيام بمسح تاريخي كرونولولجي لهذه الحقبة الزمنية (بين 1830 و1883) من خلال كتابات المؤرخ محمد العربي الزبيري؛ بدراسة المقاومات المسلحة منذ بداية الاحتلال الفرنسي في 1830على غرار مقاومة أحمد باي والأمير عبد القادر مرورا بثورات الجنوب ومنطقة الزيبان والأوراس ووصولا إلى انتفاضات الجنوب الوهراني كثورة أولاد سيدي الشيخ والشيخ بوعمامة هذا الأخير الذي بانتهاء مقاومته العسكرية (الفعليّة) كما ذكر مؤرخنا في ماي 1883م كان آخر من كتب عنه المؤرخ الزبيري، وهنا نشير إلى أننا تطرقنا لجميع المقاومات العسكرية التي توسع فيها مؤرخنا ولم نتطرق للمقاومات التي ذكرها بشكل عابر على غرار مقاومة المقراني وفاطمة نسومر...

❖ **إشكالية البحث:** يعتبر المؤرخ محمد العربي الزبيري من بين المؤرخين الجزائريين الذين كتبوا عن الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومته السياسية والعسكرية، ومن خلال هذه النقطة الأخيرة يمكن أن نطرح الإشكالية التالية:

– كيف قدّم المؤرخ محمد العربي الزبيري تاريخ المقاومة الجزائرية المسلحة للقرّاء والباحثين؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الجزئية يمكن طرحها كما يلي:

– ما هي المقاومات المسلحة التي ساهم مؤرخنا في التأريخ لها؟

– كيف ساهمت كتابات المؤرخ في عرض شخصيات وأبطال هذه المرحلة والرد عن التزييف والتشوية المُمنهجَيْن من طرف المؤرخين الفرنسيين والغربيين ؟

❖ **المنهج العلمي المتبع:** اعتمدنا في موضوعنا هذا على المنهج التاريخي الذي يتماشى مع حيثيات ومضامين مثل هكذا بحوث، ويندرج في إطار المنهج التاريخي؛ المنهج الوصفي الذي تم اعتماده في عرض الوقائع وتتبع الأحداث التاريخية و سردها كرونولوجيًّا، ثم المنهج التحليلي؛ وقد اتبعناه عندما قمنا بتحليل وإثراء المادة العلمية من خلال مراحل المقاومة المسلحة في الشرق والغرب والثورات الشعبية في الشمال والجنوب، طبعاً من خلال كتابات المؤرخ ومُؤلَّفاته، مع الاستشهاد أيضا بأقلام جزائرية وغير جزائرية كتبت عن هذه الحقبة التاريخية؛ على غرار شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله والدكتور يحي بوعزيز ...

❖ **أهم المصادر والمراجع المعتمدة:** اعتمدنا في بحثنا هذا، طبعا ومن خلال عنوانه على ثلاثة مراجع رئيسية للمؤرخ محمد العربي الزبيري وهي "مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية" و "الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر" بالإضافة إلى كتاب "مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي"، كما اعتمدنا على مراجع لمؤرّخين جزائريين سلطوا الضوء عن موضوعنا على غرار كتاب "ثورات القرن التاسع عشر" للمؤرخ يحي بوعزيز وكتاب "الحركة الوطنية الجزائرية" للمؤرخ أبو القاسم سعد الله، ومصادر مرجعية منها "مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة" (تحقيق مؤرخنا محمد العربي الزبيري) وكتاب "تحفة الزائر" للأمير محمد بن الأمير عبد القادر، وكتاب "حياة الأمير" لشارل تشرشل (ترجمة وتحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله) وكتاب "المرآة" لحمدان بن عثمان خوجة (تحقيق مؤرخنا محمد العربي الزبيري) ...

❖ **خطة البحث:** للإجابة عن الإشكالية المطروحة؛ اعتمدنا على خطة مكوّنة من مقدمة وفصل تمهيدي؛ سلطنا الضوء من خلاله على نشأة وحياة المؤرخ محمد العربي الزبيري وأبرز إسهاماته وكتاباته التاريخية، إضافة إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول خاص بكتابات المؤرخ عن مقاومة الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، وفصلٌ ثانٍ عن كتاباته حول مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، وثالث الفصول خاص بالثورات الشعبية المسلحة التي كتب عنها المؤرخ الزبيري (في الفترة بين 1848 – 1883م)، وفي الأخير طبعاً خاتمة البحث وبعض الملاحق التي نراها هامة للاستشهاد، وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها لإثراء الموضوع.

❖ **أهم الصعوبات:** من بين الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث؛ نقص المراجع التي تطرقت لشخصية المؤرخ، مما اضطرنا لتكبد عناء السفر إلى مسقط رأسه "بلدية سيدي عقبة ببسكرة" للوقوف على نشأة العربي الزبيري العائلية والدراسية في مرحلتها الأولى (الابتدائية) ... يُضاف إلى ذلك توسع المؤرخ في بعض المقاومات كمقاومة أحمد باي وكتابه المعروف "مقاومة أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية" (أكثر من 280 صفحة) ومقاومة الأمير التي خصها بكتاب تجاوزت صفحاته الـ 200 صفحة والموسوم بـ"الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر"، في حين نجده يذكر ثورات أخرى بشكل مختصر وعابر في كتاباته، مثل كتاب "ثورات الجنوب" وكتاب "الحركة الوطنية في الجزائر" ...

نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد في الموضوع الذي بين أيدينا، والذي لا ندّعي له الكمال، وإنما بذلنا جهدنا ليكون عند حُسن ظن القرّاء والباحثين في مجال اختصاصه، وأن ينال إعجاب وتقدير اللجنة الموقّرة المشرفة على تقييمه وتقويمه.

فصل تمهيدي

التعريف بالمؤرخ محمد العربي الزبيري

أولا: المولد والنشأة العلمية

ثانيا: نشاطه الثوري والسياسي

ثالثا: أهم الأعمال والمسؤوليات التي تقلدها

رابعا: أبرز مؤلفاته

أولا: المولد والنشأة والعلمية

1- نسبه : ينتسب المؤرخ والمجاهد والسياسي محمد العربي الزبيري إلى عرش أولاد العربي وهم من الأشراف ويرجع نسبهم إلى آل سيدنا علي (كرم الله وجهه) وإلى العرب الهاشميين، ولهذا العرش ألقاب معروفة بولاية بسكرة وهي : بلعربي وحوحو وميلودي ومسعودي والزبيري وابن سالم وحرز الله وحرزلي وبركاتي وبشيشي ولعموري.[1]

2- مولده: وُلد العربي الزبيري في 18 أفريل 1941 ببلدية سيدي عقبة (بولاية بسكرة حاليا)، أبوه يُدعى الصادق وأمه ظريفة مسعودي[2] وله العديد من الأخوة منهم محمد وعبد الكريم ومختار وزبيدة ومليكة وليلى، وكان البيت الذي ترعرع فيه يحوي العائلة الكبيرة وكان موقعه مقابل المسجد الذي يوجد به مقام الصحابي الجليل عقبة بن نافع رضي الله عنه، ومازال ذلك البيت شاهدا وموجودا إلى غاية يومنا هذا، لكن آثار انهيار البناء بادية عليه نتيجة قدمه وعدم ترميمه .

3- تعليمه : دخل محمد العربي الزبيري المدرسة الابتدائية (الفرنسية) بسيدي عقبة وعمره 8 سنوات، كما كان يزاول تعليمه الديني بعد الدوام (بكُتّاب مسجد قرية سيدي عقبة) على يد علماء أجلاّء أبرزهم الشيخ صالح مسعودي بن عبد الهادي (خريج جامع الزيتونة) وهو أحد أقارب والدة المؤرخ، والأستاذ حمزة حوحو (وهو ابن عم الشهيد رضا حوحو).

وبسبب الاضطهاد الفرنسي بقرية سيدي عقبة، رحلت عائلته إلى منطقة الحروش (بسكيكدة) وعمره 10 سنوات، فأكمل تعليمه الابتدائي وتحصل على شهادة الابتدائية، ثم الإعدادي بمتوسطة الحروش، كما التحق بالمدرسة الحرة (الجزائرية)، فدرس على يد الأستاذ الطاهر براهمية والشيخ السعيد كربوش، وعلى يديهما تعلّم قواعد اللغة العربية وآدابها وكذلك العلوم الدينية كالفقه والحديث، كما تمكن من الأجرومية والألفية.[3]

واستطاع أن يتحصل على شهادة الأهلية باللغة الفرنسية، وقد واكب ذلك إضراب الطلبة عام 1956، فانقطع عن الدراسة تلبية لنداء الواجب الذي أطلقته جبهة التحرير

---

[1] عمر الجلابي، الأوراس والزاب وعقبة المستجاب، ج1، مطبعة السلام، بسكرة 2017، ص 102.

[2] شهادة ميلاد (نسخة كاملة)، مستخرجة من دائرة قمار، ولاية الوادي، الجزائر 09 / 04 / 2025 ، يُنظر الملحق رقم4، ص 90.

[3] بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة الجزائر،2007، ص ص 50 ، 53.

الوطني الجناح السياسي للثورة، ثم انتقل إلى التعليم الثانوي، وبعد الاستقلال (في 1963) نظمت جامعة الجزائر مسابقة الدخول للسنة الأولى جامعي، شارك فيها ونجح بكل جدارة واستحقاق.

وقد استطاع مؤرخنا أن يثري رصيده العلمي بعدة شهادات جامعية عُليا منها:

- شهادة الليسانس في الآداب من جامعة الجزائر: 1965 – 1966
- شهادة الكفاءة في التعليم الثانوي في اللغة العربية وآدابها : 1967 بالجزائر
- شهادة الليسانس في التاريخ عام : 1968 بالجزائر
- شهادة الليسانس في الترجمة عام : 1969 بالجزائر
- دبلوم الدراسات العليا في التاريخ عام : 1970 بالجزائر
- دكتوراه الطور الثالث عام 1972 بجامعة الجزائر (وهو أول خريجي جامعة الجزائر بهذه الشهادة) .
- دكتوراه دولة في فلسفة التاريخ : 1994 – 1995 بجامعة بغداد (العراق)[1]

4- وفاته: فقدت الجزائر يوم الاثنين 30 من شهر سبتمبر سنة 2024م عَلَماً من أعلامها المعاصرين وأحد أقطاب المدرسة التاريخية الجزائرية عن عمر ناهز 83 سنة [2]، هذا الرجل الفذ الذي جمع بين الجهاد الثوري والنضال السياسي ثم المسار العلمي الأكاديمي الحافل بالانجازات، تاركا خلفه الآثار والمآثر للأجيال القادمة، مقدما خدمات جليلة لطلابه وللأساتذة والباحثين في الحقل التاريخي...

دُفن الأستاذ في اليوم الموالي من وفاته، بمقبرة قاريدي بالقبة بالجزائر العاصمة، بحضور جموع غفيرة من المواطنين وممثلو سلطات الدولة الجزائرية وبعض أصدقائه وأساتذة الجامعات وطلابه، وغيرهم من الشخصيات الثقافية والوطنية.

رحم الله فقيد الجزائر وجزاه عما قدم لبلده وأمته خير الجزاء، وأسكنه فسيح جناته.[3]

---

[1] بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، مرجع سابق، ص ص 54 ، 57.

[2] شهادة الوفاة (نسخة كاملة)، مستخرجة من دائرة قمار، ولاية الوادي ، الجزائر 09 / 04 / 2025 ، يُنظر الملحق رقم 5، ص91.

[3] الأخضر علاب، "المجاهد والمؤرخ محمد العربي الزبيري سيرة ومسيرة"، من الموقع الالكتروني www.arrabiaa.net **مجلة الرّبيئة**، العدد 30، تاريخ النشر 10أكتوبر2024، تم الدخول بتاريخ 30أفريل2025 على الساعة 20:20مساء.

ثانيا: نشاطه الثوري والسياسي :

1- مشاركته في الثورة التحريرية: بعد اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954 وأحداث الشمال القسنطيني في أوت 1955، عاد الطفل محمد العربي مع عائلته إلى سيدي عقبة، وكان المجاهدون الأوائل المجندون في سيدي عقبة ينتمون في أغلبهم إلى عرش أخواله وأعمامه ويكفي دليلا على ذلك لوحة أسماء الشهداء الموجودة اليوم في سيدي عقبة فقد بدأت باسم أول شهيد في هذه المنطقة خلال الثورة التحريرية، وهو ابن عمه الحفناوي الزبيري...[1]

ثم عاد مع والده من سيدي عقبة إلى سكيكدة لمواصلة رحلة تعليمه، وفي ولاية الشمال القسنطيني نمَا حسّه الثوري الوطني خاصة بعد لقائه مع الأستاذ أحمد رضا حوحو الأمين العام لمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس في سنة 1956 الذي قال له: "لم تبق اليوم دراسة، فالدراسة الوحيدة هي الجبل، فلابد من التضحية والالتحاق بصفوف الثوار!" وتمثلت مشاركته الأولى وهو مازال طفلا صغيرا في رصد حركة الجنود الفرنسيين في الطريق، كما انضم إلى كتائب المجاهدين التي كانت آنذاك مسيّرة من طرف المجاهد "محمد قدّيد" نائب العقيد ديدوش مراد في المنطقة الثانية بالشرق الجزائري وكانت تربطه علاقة متينة بوالده[2].

2- نضاله السياسي: لقد اختار هذا المجاهد الانخراط في صفوف جيش التحرير الوطني وهو الذي عرف مرارة السجن وهو ابن الرابعة عشر عاما، ثم النضال في صفوف جبهة التحرير الوطني عقب استعادة الاستقلال الوطني مباشرة، فقد سأله الراحل محمد خيضر الأمين العام للمكتب السياسي رحمه الله ذات مرة عن سبب اختياره العمل في صفوف الحزب رغم صغر سنه، فقال له العربي الزبيري: "إن ذلك يرجع إلى سماعي لمحاضرة لك جعلتني أقتنع بالعمل في الحزب إلى جانبك"، وعندها قال له الراحل خيضر: سأقبلك في الحزب بشرط واحد، و هو أن تواصل دراستك، و تأكّدْ أنني لن أحاسبك عن العمل، بل سأحاسبك عن الدراسة" [3].

---

[1] مولود عويمر، "الدكتور محمد العربي الزبيري خطوات رائدة في الذود عن تاريخ الجزائر والثورة"، **التبيان**، العدد 16، مارس 2023، ص 56

[2] نفسه، ص58.

[3] أنس مباركي، محمد العربي الزبيري وإسهامه في كتابة التاريخ، مذكرة تخرج ماستر، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص34.

وإذا كانت علاقة العربي الزبيري بالنضال في حزب جبهة التحرير الوطني بدأت مع الراحل خيضر، فإنها أخذت منحى المد والجزر مع مختلف القياديين الذين توالوا على تسيير الحزب إذ كان النضال عنده وعند المناضلين الشرفاء هو الإسهام في تغيير الواقع وبث الأفكار البنّاءة لفائدة الوطن والمواطن وممارسة السياسة بأخلاق...

كان الزبيري مناضلا صلبا لا يعرف أنصاف الحلول ولا يجامل أحدا خصوصا عندما يتعلق الأمر بالهوية الوطنية المستمدة من تاريخنا، كيفما كان شكلها وطنية، ثقافية، سياسية أو فكرية[1] .

ثالثا: أهم الأعمال والمسؤوليات التي تقلدها :

– كانت بداية أعماله بمهنة التدريس كأستاذ بثانوية الأمير عبد القادر (بيجو سابقا) بين 1965 و 1967.

– ثم مُدرِّسا بالمدرسة العليا للترجمة بجامعة الجزائر وفي نفس الوقت مُدرِّسا للتاريخ في قسم التاريخ (1969 ، 1970)

– وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه سنة 1972م، عُين أستاذا محاضرا للتاريخ بجامعة الجزائر ليتفرغ أكثر للكتابة كباحث ومؤرخ.

أما على الصعيد السياسي والحزبي، فقد كُلّف الزبيري بعدة مسؤوليات، منها :

–عُين بعد الاستقلال عضوا في ديوان الأمين العام لجبهة التحرير الوطني السيد محمد خيضر

– في نفس السنة أي (سنة 1962) عُين مفتشا عاما لشبيبة جبهة التحرير الوطني .

– بعد جوان 1965 عُين أمينا وطنيا للإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين وذلك مابين عامي (1965 – 1967).

– أول جزائري شارك في مؤتمر الكتاب الأفروآسيوي ببكين في جوان 1966 باعتباره رئيس الوفد الجزائري.

– عُين مرة أخرى مسؤولاً عن الأمانة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني مابين (1973 و1978).

[1] أنس مباركي، محمد العربي الزبيري وإسهامه في كتابة التاريخ، مرجع سابق، ص35.

– في عام 1981 أُنتخب أمينا عاما لإتحاد الكتاب الجزائريين.

– وفي عام 1984 أُنتخب عضوا للجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية كما أصبح في نفس السنة عضوا للأمانة الدائمة للجنة المركزية.

– في عام 1985 انتخب أمينا عاما لإتحاد الكتاب والصحافيين والمترجمين الجزائريين كما أصبح عضوا بارزا في إتحاد الكتاب العرب وعضوا في إتحاد المؤرخين العرب ويعتبر أحد مؤسسي المجلس القومي للثقافة العربية.

– كما كان عضوا في العديد من هيئات التحرير لمجلات متخصصة منها مجلة الوحدة، كما كان مديرا لمجلة الرؤيا (لسان حال إتحاد الكتاب الجزائريين).

– في عام 1990 أسس منتدى الفكر والثقافة بالعاصمة، كما سعى في تأسيس المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر[1] .

رابعا: مؤلفات محمد العربي الزبيري : تنوعت إسهامات المؤرخ الدكتور محمد العربي الزبيري من كتابات متخصصة في التاريخ وكتابات فكرية إلى المقالات الهادفة في المجلات والصحف، ناهيك عن إشرافه على العديد من الرسائل والأطروحات الجامعية سواء في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه ؛ فمن مؤلفاته نستطيع أن نذكر.

– مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث.

– دراسة في تاريخ الجزائر المعاصر (المكون من خمسة 5 أجزاء).

– التجارة الخارجية في الشرق الجزائري في الفترة مابين 1792 – 1830 .

– الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر.

– الكفاح المسلح في عهد الحاج أحمد باي

– حمدان خوجة رائد الكفاح السياسي.

– المثقفون الجزائريون والثورة .

– مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي .

– الثورة الجزائرية في عامها الأول .

– الغزو الثقافي في الجزائر من 1962 – 1982 .

[1] بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية ، مرجع سابق، ص 64 ، 65.

- مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية .
- المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة .
- جبهة التحرير الوطني المُعتدى عليها.
- حزب " جبهة التحرير الوطني " من الشرف إلى العلف (تشريح الأزمة).
- حزب " جبهة التحرير الوطني " من العلف إلى العفن .
- المقاومة العربية .
- أفكار جارحة في السياسة والثقافة والتاريخ .
- الجزائر والصديق اللدود : آراء في العلاقات الجزائرية الفرنسية .
- في رحاب التاريخ و النوفمبريون الجدد .
- الحزب الشيوعي الجزائري تاريخ وخيانات (مشترك مع الكاتب السوري بسام عسلي)
- قراءة في كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر.[1]

كما أن مؤرخنا حقق وترجم العديد من الكتب منها :

- المرآة، لحمدان بن عثمان خوجة .
- مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة.
- مذكرات الريس حميدو.

إلى جانب مئات المقالات المنشورة في الجرائد والمجلات والمحاضرات التي ألقيت والأحاديث والحوارات الإذاعية والتلفزية.[2]

[1] أنس مباركي، محمد العربي الزبيري وإسهامه في كتابة التاريخ، مرجع سابق، ص 40،41.

[2] بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية ، مرجع سابق ،2007 ، ص 58 / كما يمكن الاطلاع على كتب المؤرخ في معظم المكتبات الجامعية . (انظر أنس مباركي، محمد العربي الزبيري وإسهامه في كتابة التاريخ، مرجع سابق)

الفصل الأول

مقاومة الحاج أحمد باي

أولا: المقاومة العسكرية قبل غزو قسنطينة:

1- مشاركة أحمد باي في الدفاع عن العاصمة

2- العودة إلى قسنطينة والاستعداد للمقاومة

3- المناورات الفرنسية والمؤامرات الداخلية والخارجية

ثانيا: الغزو الفرنسي لقسنطينة:

1- الحملة العسكرية الأولى 1836

2- الحملة العسكرية الثانية 1837 وسقوط قسنطينة

ثالثا: تجدد المقاومة العسكرية والاستسلام:

1- تجدد المقاومة بعد سقوط قسنطينة

2- التفاوض والاستسلام

أولا: المقاومة قبل غزو قسنطينة

1- مشاركة الحاج أحمد باي[1] في الدفاع عن العاصمة:

عندما تم العدوان الفرنسي على الجزائر في 1830م، كان الحاج أحمد باي بالعاصمة الجزائر لأداء الدنوش[2] وبهذا الصدد يقول في مذكراته: " ذهبتُ لمدينة الجزائر في زيارة رسمية لأداء الدنوش ... وكانت تلك هي المرة الثانية التي أقوم بهذا الواجب فلم أكن مستعدا أي استعداد لمحاربة الفرنسيين"[3].

وعندما وصل أحمد باي إلى العاصمة طلب منه الداي أن يلتحق فورا بسيدي فرج ليحضر الاجتماع الذي سينعقد هناك لتدبير وسائل المقاومة والدفاع ضد الحملة الفرنسية التي بدأت طلائعها في الأفق، فاتجه إلى هناك والتقى بباي التيطري بومزراق والآغا إبراهيم صهر الداي الذي أسندت له قيادة الجيوش.[4]

ويذكر أحمد باي أنه حدث خلاف بينه وبين الآغا حول الإستراتيجية التي يجب إتباعها في هذه الحرب ضد الفرنسيين ... ثم عرض على المجلس خطة يقول فيها إن على جيش الجزائر أن يتجه إلى " وادي مازفران " فيجد الفرنسيون أنفسهم مخيّرين بين أمرين لا ثالث لهما إما أن يهاجموا المدينة وإما أن يتبعوا خطانا؛ ففي الحالة الأولى ننقض على مؤخرتهم فنأخذ مؤونتهم ونهاجم قوافلهم فنقتل المتخلفين ونعمل على قطع الاتصال بينهم

---

[1] وُلد أحمد باي عام 1786 في الجزائر من أب ولد في الجزائر من أصل تركي وهو محمد الشريف بن أحمد القُلي، وأمه جزائرية هي الحاجة رقية بنت بن قانة أحد شيوخ عرب الصحراء، نشأ الحاج أحمد في بيت أخواله فشب على حياة البداوة وتدرب على القتال، وفي الزيبان حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية وعلوم الشريعة، توفرت فيه كل صفات المسؤول الصالح، مما جعل السلطات المركزية تعينه (وهو لم يتجاوز الثلاثين سنة) خليفة لباي قسنطينة، ثم بايا على البايلك سنة 1826... شارك في الدفاع عن الجزائر العاصمة منذ بداية الاحتلال في جويلية 1830م، وبعدها قاد المقاومة في الشرق (قسنطينة) حتى 1848م أين أَزِفَ زمن الاستسلام لينقل إلى الجزائر العاصمة وفيها توفي سنة 1850م ودفن في ضريح عبد الرحمان الثعالبي فرحمة الله عليه رحمة واسعة... للتعرف أكثر عن حياة قائد المقاومة في الشرق يُرجع إلى: "مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 2009، ص7، وكتاب "مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية" للمؤرخ محمد العربي الزبيري، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع الجزائر2023، ص14 وما بعدها.

[2] الدنوش: الزيارة الرسمية التي يؤديها البايات كل ثلاث سنوات إلى الداي بالعاصمة. (انظر مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المرجع السابق، ص13).

[3] محمد العربي الزبيري، "المقاومة في الجزائر 1830 – 1848"، **الأصالة**، العدد 29، الجزائر،1فيفري1976، ص3،4.

[4] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص64.

وبين مراكبهم وهذه النقطة سهلة جدا ...أما إذا ساروا نحونا ليشنوا علينا الحرب فإن واجبنا أن نتجنب المعركة ونجر جيوشهم إلى ميدان ملائم وبعيدا عن مدينة الجزائر التي هي هدف مشروعهم[1]. وعن كل هذه الملاحظات كانت إجابة الآغا كالآتي : "إنكم لا تعرفون التكتيك الأوربي إنه يتعارض مع تكتيك العرب"... ورأى باي قسنطينة في هذه الإجابة إهانة له، لذلك التزم الصمت ولم يسمح لنفسه بإبداء أي ملاحظة أخرى[2] .

وفي الصباح الباكر من يوم 14 جوان 1830 نزلت الجيوش الفرنسية بشبه جزيرة سيدي فرج وكان النزول سهلا [3] وبعد انتصار الفرنسيين على مقاومتنا، تقرر التراجع وانتظارهم في سهل سطاوالي حيث بُنيت حصون بسرعة وزُودت ببعض المدافع، وكان الباشا قد وزع عدداً منها كذلك على جميع الأعيان الذين كانوا يقودون الجيوش وعلى من كانوا قادمين من مناطق بعيدة ... وقد خسرنا (كما يذكر أحمد باي في مذكراته) هذه المدافع في معركة سطاوالي التي ربحها الفرنسيون[4].

وفي هذه الحالة دعا الباشا المفتي (مفتي الإسلام) فسلمه سيفه وطلب منه أن يجمع الشعب للدفاع عن البلاد ولكن لسوء الحظ، كان الأوان قد فات، وعند الغروب كان الجيش الفرنسي قد اقترب من حصن الإمبراطور[5].

ونتيجة انتصار الفرنسيين في معركة سيدي فرج، ومعركة سطاوالي التي فقدت فيها الجزائر مدافعها، انسحب الحاج أحمد إلى وادي القليعة فجنان الباشا (مصطفى باشا)، ثم إلى قنطرة الحراش مساء يوم 5 جويلية 1830م، تاريخ تسليم الداي المدينة إلى الفرنسيين ولحق به هناك عدد من الهاربين، ثم انسحب إلى خميس الخشنة فبودواو ثم إلى وادي الزيتون[6].

---

[1] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، ص15.

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق تع تح محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر 2007، ص 192.

[3] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية ، مرجع سابق، ص120.

[4] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المرجع السابق، ص16.

[5] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المرجع السابق، ص 192.

[6] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص64.

2- العودة إلى قسنطينة والاستعداد للمقاومة:

بعد سقوط العاصمة قفل أحمد باي راجعا للدفاع عن قسنطينة وبهذا الصدد يذكر في مذكراته "... وعندما بلغتُ وادي زيتون وصلتني رسالة من الجنرال دي بورمون يقول لي فيها إن الفرنسيين قد خلفوا حسين باشا في الحكم، وإنني احتفظ بمرتبة باي قسنطينة إذا رضيتُ أن أدفع اللازمة (الضريبة) التي كنت أدفعها للداي، وباختصار إذا قبلتُ الاستسلام وأجبت بأن السلطة تسلمتها من حسين باشا برضا جميع سكان قسنطينة ومقاطعتها وإنني أرجع إلى مركز قيادتي وإذا كانت إرادة قادة قسنطينة تتفق مع رغبة الجنرال الفرنسي فإنني سأخضع لها بكل سرور. [1]

إن هذا الجواب لأكبر دليل على حنكة الباي السياسية وتفوقه الدبلوماسي ...ولمن يتمعن جيدا ويستنطق النص فإنه يرى بسرعة بوادر التغيير في طريقة الحكم ويدرك أن الحاج أحمد الذي كان ينفّذ الأوامر دون مناقشة الإرادة الصادرة منها، صار يعمل واعيا على إشراك الإرادة الشعبية في اتخاذ القرار...[2]

رجع الباي إلى مقاطعته متبعا الساحل حيث وجد كثير من المدافع والذخيرة الحربية وقد تمركز ثلاثة أيام في نواحي الدار البيضاء ليجمع الخيل والبغال التي كانت للدولة ... فجمع ثلاثة آلاف تركي وعدد كبير من أسر مدينة الجزائر التي تركت المدينة لأن بعضها لم يعد مطمئنا لها بينما البعض الآخر خوفا من الظلم.[3]

وبعد اثنين وعشرين يوما من السير والمشاكل[4] وصل الحاج أحمد إلى الحامّة في أحواز قسنطينة وعلم هناك بقيام انقلاب في غيابه تزعمه عدد من اليولداش الأتراك على رأسهم القائد سليمان الذي عين نفسه بايا وخليفته ولد شكال محمود وعبد الله خوجة واسطمبولي وجيمي علي ووزان أحمد وزميرلي بشير وضبيات علي ...[5]

---

[1] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، ص16.

[2] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، مرجع سابق، ص140.

[3] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، مرجع سابق، ،ص 211.

[4] أنظر تفاصيل الرحلة في كتاب فندلين شلوصر، "قسنطينة أيام أحمد باي 1832 – 1837"، تر تق أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

[5] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص65.

حيث يقول الحاج أحمد باي على هذه الحادثة "عندما علم هؤلاء الناس بمقدمي أرادوا أن يثيروا عليّ القبائل المقيمة في نواحي سطيف ولكنني هزمت من خرج إليّ وقصدت قسنطينة التي غادرها المتآمرون ليعترضوا سبيلي، وبمجرد ما خرجوا من المدينة اجتمع الطلبة والسكان بسرعة تحت قيادة الباش حامبة علي بن عيسى وألقوا القبض على سليمان وقتلوه أمام باب المدينة "[1].

وعلى مشارف مدينة قسنطينة استدعى الأعيان، وكان الباي عظيما حينما وضع زمام الأمور بين أيديهم بعد أن شرح لهم خطورة الوضع وأكد لهم أنه سيكون سندا لمن يختارونه لقيادة المعركة، وبقدر ما كان نبيلا ومخلصا كان الأعيان في مستوى الحدث حيث أجمعوا على بقائه مسؤولاً عليهم وحرروا بيعة رسمية ووضعوا عليها أختامهم ووجهوها إلى السلطان محمود الثاني باعتباره الخليفة الراعي لشؤون جميع المسلمين في العالم، ملتمسين منه أن يرسل إليه فرمان الباشاوية خلفا للداي حسين[2].

شرع الحاج أحمد باي في تنظيم الدولة فقام بتشكيل الديوان وكان أول قرار اتخذه الديوان هو تصميم العلم الذي جاء أحمر اللون يتوسطه السيف ذو الفقار ثم تلا ذلك أمر الخزناجي بسك العملة ووضع الخاتم الجديد باسم "عبده الحاج أحمد باشا بن محمد الشريف"

وبمجرد الانتهاء من هذه الترتيبات التنظيمية التفت الحاج أحمد باشا إلى الإدارة فأدخل عليها إصلاحات جذرية مستمدة من مرجعية فكرية واضحة، ويتمثل جوهر الإصلاحات المذكورة في إلغاء كل أنواع الضرائب والغرامات واستبدالها بالعشور الذي يُجمع في بيت مال المسلمين طبقا لما تقتضيه الشريعة [3].

3- المناورات الفرنسية والمؤامرات الداخلية والخارجية قبل غزو قسنطينة:

يذكر مؤرخنا الزبيري في كتابه "مقاومة الحاج أحمد باي" أنه منذ 1830 تركزت عيون الغزاة على قسنطينة أيضا، لكنهم عجزوا عن غزوها إلا بعد مرور سبع سنوات ولقد سلكوا لذلك عدة سبل دبلوماسية وعسكرية ومنها:

[1] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، ص17 ، 18.

[2] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، مرجع سابق، ص141.

[3] نفسه، ص151 ، 152.

– التفاوض مع الحاج أحمد باي حيث كانت أول المراسلات بعد سقوط العاصمة مباشرة من الجنرال دي برمون 1830م ثم من الجنرال كلوزال ثم دورفيقو ...[1]

وكانت ردوده (أي أحمد باي) كما جاء في مذكراته: "وأجبتُ بأن السلطة تسلمتُها من حسين باشا برضا جميع سكان قسنطينة ومقاطعتها وإنني ارجع إلى مركز قيادتي وإذا كانت إرادة قادة قسنطينة تتفق مع رغبة الجنرال الفرنسي فإنني سأخضع لها بكل سرور" [2].

أما في المراسلة الثانية فقد جمع الباشا ديوانه واتصل برؤساء القبائل ... فأجاب جميعهم بضرورة رفض الشروط وكان ذلك هو الجواب الذي نقل إلى الوالي العام[3].

وفي أكتوبر من سنة 1832 قدم إلى قسنطينة السيد حمدان بن عثمان خوجة من طرف الدوق "دورفيقو" رسالة تدعوه إلى الاستسلام وإلى دفع ثلاثة ملايين من الفرنكات الفرنسية كتعويض عن الحرب ... وكان الرد من جميع الأعيان بعد الاجتماع الذي حضره حمدان بن عثمان خوجة " لقد وصلتنا رسالتكم وشرح لنا مبعوثكم سي حمدان نواياكم فكيف تريدون منا أن ندفع لكم ثلاثة ملايين فرنكا؟! إنه مبلغ يفوق ممتلكاتنا، أما اللازمة فإننا لا نرفض دفعها إليكم ولكي يتم ذلك يجب أن تسحبوا جنودكم من المناطق التي تحتلونها ... ثم بعد ذلك تقيمون قنصلا في عنابة كما هو الشأن في السابق"[4].

وفي ديسمبر من نفس السنة رجع حمدان بن عثمان خوجة إلى قسنطينة ومعه عرض جديد من "دورفيقو" الذي خفّض مبلغ التعويضات إلى خمسين ألف دورو إلى جانب اللازم السنوي ... لكن الحاج أحمد باي رفض العرض لأن الفرنسيين لا عهد لهم...[5] فاقترح عليه حمدان خوجة أن يكون ليّنا في جوابه، وطلب منه أن يزوده بمبلغ خمسة أو ستة آلاف دورو ليذهب إلى فرنسا ويدافع هناك عن قضيته ويحصل على شروط أفضل، فاستجاب الحاج أحمد باي لرغبته ونقده المبلغ المطلوب وأكد له بأنه لو كان متأكدا من

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1900، ج1، دار المغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1992، ص155.

[2] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، ص 17.

[3] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، مرجع سابق، ص156.

[4] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المرجع السابق، ص27.

[5] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص157، 158.

نجاحه في مهمته لنقده عشرين ألفا[1].

– التفاوض والتحالف مع خصوم الحاج أحمد؛ في الداخل أبرزهم مصطفى بومزراق باي التيطري، والباي إبراهيم (الباي السابق على بايلك قسنطينة)، وفرحات بن سعيد شيخ العرب السابق بالزيبان.

أما باي التيطري الذي كان يدفعه الطموح قد جمع سائر الأتراك الذين أرادوا أن يتبعوه، واقترب من الجزائر رغبة في الاتصال بالفرنسيين، واستطاع بفضل نفوذ صديقه بكري أن يحصل على مرتبة آغا بتعيين من المارشال دي بورمون ... وبسبب إحدى المناورات يُعزل بدون سبب ويُستبدل في منصبه كآغا العرب بحمدان بن أمين السكة"[2]، ولكنه لما لم يتمكن من أن يعتمد عليهم أراد أن يستقل وتلقب بالباشا وطلب من الحاج أحمد بأن يخضع له ... فأجاب الحاج أحمد رسوله: "... فما عليه إلا أن يأتي ليأخذ الاعتراف فليس عندي له إجابة والبارود يفصل بيننا"، ولم يجد بومزراق وسيلة لفرض إرادته إلا التحالف مع الباي إبراهيم[3] الذي عينه من جديد بايا على قسنطينة بعد أن عزل منها الحاج أحمد فتعاون الباي إبراهيم مع فرحات بن سعيد شيخ العرب السابق الذي استبدله الحاج أحمد بقريبه بوعزيز بن قانة وهكذا أراد مصطفى بومزراق أن يثير ضده طموح الأول الزائف وغيظ الثاني المكين[4].

أما مصطفى بومزراق فقد قبض عليه الفرنسيون بعد غزو مدينة المدية ونفوه إلى الإسكندرية حيث توفي هناك [5]، وأما إبراهيم باي فقد شارك في مؤامرة فرنسية تزعمها روفيقو روفيقو قائد جيش الاحتلال في الجزائر فأرسل أحد ضباطه وهو "دارماندي" إلى عنابة باعتباره قنصل لفرنسا لدى الباي إبراهيم الكريتلي[6] وليتمسك بحقه في العودة إلى حكم قسنطينة ورافق دارماندي يوسف المملوك[7] ... وكانا يدفعان إبراهيم إلى محاربة الحاج أحمد

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص69.

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، مرجع سابق، ص 220.

[3] هو باي قسنطينة السابق والذي تم عزله سنة 1826، واستبداله بالحاج أحمد باي.(ارجع إلى: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، ص21)

[4] نفسه، ص22.

[5] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص67.

[6] الكريتلي : نسبة لجزيرة كريت.(انظر محمد العربي الزبيري، مقاومة أحمد باي، مرجع سابق، ص 158)

[7] يوسف المملوك: ورد اسمه يوسف المملوك (لأنه كان مملوكا لدى باي تونس) وورد اسمه جوزيف.(ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، نفسه، ص 158)

أحمد حتى يضطر إلى طلب النجدة من الفرنسيين ... وقد حانت الفرصة عندما هزم جيش الحاج أحمد (أتراك) إبراهيم الكريتلي ودخل علي بن عيسى عنابة بالاتفاق مع أعيانها[1]، مما أجبره على الاعتصام بالقصبة إلى أن فاجأته قوات فرنسية جديدة غازية للمدينة ففر الباي إبراهيم إلى الجبال لمدة عامين ثم ذهب إلى المدية وبقي هناك حتى توفي عام 1843م[2].

وأما فرحات بن سعيد شيخ العرب السابق الذي عزله الحاج أحمد وعين بدلاً عنه قريبه بوعزيز بن قانة، تحالف مع الباي إبراهيم وفي هذا يقول الحاج أحمد: "فوجّهت لهما بوعزيز وبعض الجند ثم انتقلتُ إليهما شخصيا فهزمتهما هزيمة شنعاء وأرغمتهما على الفرار، أما فرحات فقد انسحب إلى أولاد جلال حيث راح يواصل معاداته لي وظل يمارس نوعا من السلطة على قبائل وادي جدي"[3].

– التفاوض مع باي تونس على إعطائه (أو بيعه كما جاء في عريضة أهل الجزائر عندئذ) إقليم قسنطينة مع الاعتراف بسيادة فرنسا ودفع ضريبة سنوية، حيث كانت دهشة الحاج أحمد كبيرة عندما علم بأن الحاكم الفرنسي كلوزيل قد عزله من منصبه وأبرم اتفاق مع باي تونس يوم 18 ديسمبر 1830م ينص على تعيين شقيقه مصطفى باشا بايا على بايلك قسنطينة"[4] وهو ماسجله الحاج أحمد باي في مذكراته: " وردت رسائل من تونس تقول أن الباي يعتزم استرجاع الوضع القديم واستبدالي بأخيه ... وكنتُ ممثلا فيها كرجل مستبد وكانت نهايتها دعوة إلى الثورة حتى أطرد من بايلك قسنطينة"[5]، لكن المعاهدة لم تتم لأن الحكومة الفرنسية رفضت المصادقة عليها غير أن آثارها كانت قوية جعلت عنابة ...لا تأمن باي تونس ولا تثق في الفرنسيين[6] .

– عزل الحاج أحمد عن المدد الخارجي والتجسس على مراسلاته مع الخارج وفي هذا يقول الحاج أحمد باي في مذكراته: " أخيرا أتاني جواب السلطان محمود بعد احتلال عنابة وكان كالآتي: "إن سلوككم إزاء الفرنسيين والإجابة التي تفضلتم بها على اقتراحاتهم ليتفقان مع

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص145.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص67.

[3] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، ص22.

[4] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص66.

[5] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، ص19.

[6] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص145.

العدالة، فأثبتوا على هذه السيرة وإنها هي الوحيدة التي يمكن أن تساهم في خير الإسلام والمسلمين، ومما لاشك فيه أنني أريد نجدتكم ... وفي هذه الظروف إنني في حالة سلم مع عنابة [يقصد بها مع فرنسا]"...[1].

وهذا يثبت أن الحاج أحمد راسل السلطان العثماني عدة مرات إلا أن هناك ظروف حالت دون وصول النجدات من جهة أو انعدام الثقة في نية الحاج أحمد، وساهم في ذلك باي تونس مساهمة كبيرة، وفي هذا يقول الحاج أحمد باي: "والسبب في هذا الاحتراز أن باي تونس كان قد بعث إلى السلطان محمود رسائل تهدف إلى إظهاري في مظهر التمرد، ولذلك قرر الإمبراطور ...أن يبعث إلى عين المكان أحد رجاله الأمناء هو كامل بك"[2].

أما المراسلة التالية كانت بعد الانتصار على الحملة العسكرية الفرنسية الأولى على قسنطينة عام 1836م حيث" كاتب السلطان العثماني وأخبره بتفاصيل الأحداث فأجابه برسالة هنأه فيها على انتصاره ووعده بإرسال نجدة عسكرية من الجنود والمدافع والمهندسين[3]... وفعلا وصلت النجدة، واحتجزها باي تونس بحجة تهديد فرنسا له إذا وصلت الإمدادات إلى صاحبها[4].

- احتلال عنابة 1832 وبجاية 1833: لقد حاول الفرنسيون النزول في عنابة منذ الثاني من أوت 1830م ... ولكنهم فشلوا ... فقد واجهوا ثورة داخل المدينة وخارجها، أما داخل المدينة فقد تزعم إبراهيم الكريتلي ونصب نفسه بايا هناك في انتظار افتكاك قسنطينة من الحاج أحمد ... وفي شهر ديسمبر 1830 وقّع "كلوزيل" على معاهدة مع باي تونس تعطي إقليم قسنطينة إلى أحد أقاربه بما فيه عنابة ... وأثناء ذلك احتل إبراهيم الكريتلي قصبة عنابة يوم 25 سبتمبر 1831 ورفع عليها العلم الإسلامي[5].

لم يفقد الفرنسيون أمل استرجاع عنابة التي طُردوا منها فأرسلوا إلى الميناء باخرتين محملتين بالجيوش تحت قيادة ضابط اسمه "دارماندي"، واستغلت هذه الجيوش الفرصة

---

[1] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، المرجع السابق، ص24.

[2] نفسه، ص25.

[3] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر ،مرجع سابق، ص71.

[4] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، المرجع السابق، ص57.

[5] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص145 .

فنزلت على الشاطئ ... وفي 17 مارس 1832م استطاعت القوات الفرنسية الدخول لقصبة عنابة وبذلك بدأت أول خطوات ضرب الحصار على أحمد باي وبايلك الشرق.[1]

بعد سقوط عنابة 1832 ... فإن القبائل والأعراش مثل أولاد عطية وصنهاجة والشرفة وزدير ...تحملت الصدمات الأولى؛ فقتل اللقيط يوسف الأبرياء وأغار هو وسيده "دوزير" على خيام أولاد عطية وصنهاجة بين منتصف الليل والساعة الثالثة صباحا لعدة مرات مستعملا فيهم السيف والحرق، وأخذ النساء والأطفال والماشية إلى عنابة، ويبرر أحد الفرنسيين ذلك الجرم بأنه (درس) ضروري[2].

وهناك مدينة ساحلية أخرى كان احتلالها قد مر بوضع شبيه بوضع عنابة، وهي بجاية وكانت محاولة احتلالها قد بدأت سنة 1833 فقد حاولوا إنزال قطعة فرنسية بها ... فاستبسل الأهالي دفاعا عن المدينة ودام القتال أربعة أيام ... واستعصت المدينة على العدو فاستنجد بالجزائر، فأنجدتهم وبذلك تمكنوا من احتلال بجاية التي أصبحت شاغرة من سكانها وأصبحت خرابا[3].

– وأخيرا معاهدة التافنة بين الأمير وممثل فرنسا (بيجو)، وهي المعاهدة التي كانت النوايا الفرنسية تريد منها التفرغ لضرب الحاج أحمد باي واحتلال قسنطينة [4].

[1] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، ص23.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص149.

[3] نفسه، ص154.

[4] نفسه، ص156.

ثانيا: الغزو الفرنسي لمدينة قسنطينة

1-الحملة العسكرية الأولى على قسنطينة 1836 م:

جاء في كتاب "مقاومة الحاج أحمد باي" لمؤرخنا العربي الزبيري بخصوص الحملة الفرنسية على قسنطينة: "جاء كلوزيل للمرة الثانية حاملا مخططا من وحي خياله ... وبدأ ذلك بقرار مؤرخ في 21 جانفي 1836 عيّن بموجبه اليهودي جوزيف بايا على قسنطينة خلفا لأحمد باي" [1].

لقد حاول كلوزيل استعادة مجده ومكانته التي قضت عليها مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب، "فقرر الهجوم على عاصمة إقليم قسنطينة وقد هون عليه يوسف المملوك سهولة احتلالها حتى أنه أعرب له أن احتلال قسنطينة لا يعدو أن يكون مجرد نزهة" [2].

كل هذه التحركات كان الحاج أحمد باي يتبعها عن كثب وبدقة ولما تأكد من استعدادات الجيوش الفرنسية للانطلاق نحوه، شرع في تنفيذ خطته الدفاعية[3]، التي يشرحها في مذكراته بالقول: " تركت في قسنطينة حامية من ألف رجل تحت قيادة بن عيسى والقائد علي محمد بن البجاوي وكانت المدينة مجهزة كما ينبغي بالأسلحة والعتاد الحربي"[4]

واستدعى من سائر مناطق البايلك قوات كبيرة بلغ عددها خمسة آلاف فارس وألفا وخمسمائة رجل، عسكرَ بهم في وادي الأحد (وادي الكلاب سابقا) بسيدي مبروك، ثم تقدم لملاقاة العدو الذي خرج من عنابة وتمركز في عقبة العشاري بين الحامة و قسنطينة وبعد الاصطدام الأول قرر الحاج أحمد ألا يدخل معهم في معركة بذلك المكان لعدم ملاءمته، فاستدرجهم عن طريق المناوشات حتى اقتربوا من سفوح المدينة [5]، وهكذا جعل الحاج أحمد جيوش الماريشال كلوزال بين القوات المرافقة له والقوات المرابطة في المدينة، وشاءت العناية الإلهية أن تمطر السماء وتتساقط الثلوج في تلك الأيام بقوة كبيرة لم تعرف من قبل في مثل هذه الفترة من السنة وهو الأمر الذي سهّل الهجوم على مؤخرة الجيوش التي قُتلت منهم

[1] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، مرجع سابق، ص178.

[2] عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1954)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص 28

[3] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص182.

[4] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، مرجع سابق، ص34.

[5] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص70.

أعداد كثيرة[1].

" وحاول الفرنسيون اقتحام المدينة مرة من باب القنطرة ففشلوا ومرة من باب جديد من جهة الرحبة فانهزموا"[2]، وفي يوم 23 نوفمبر 1836م وقعت الهزيمة النكراء وشرعت الجيوش الفرنسية في الانسحاب تاركة وراءها الذخيرة والجرحى وعدد كبير من العربات المشحونة بالمؤن"[3].

2- الحملة العسكرية الثانية على قسنطينة 1837م:

انتهت الحملة الأولى على قسنطينة وفشلت القوات الفرنسية التي يقودها كلوزيل تاركة آثار وخيمة ماديا ومعنويا في نفسية المستعمر[4].

أما الحاج أحمد باي فقد وجد في طريق عودته إلى قسنطينة العديد من المؤن ... وأعطى الأوامر بجمع هذه الغنائم[5]، كما أعطى أوامر لأعوانه من أجل إصلاح ما أفسدته الحرب في الحصون والأسوار والأبواب وأمرهم بهدم المنازل المرابطة بين الكدية والمدينة بسبب ما لاحظه من أن جيش العدو كان قد استعملها واتقى بحيطانها لإلحاق أضرار بالسكان العزل، كما أنه أمر بشراء كميات البارود الموجودة لدى سائر القبائل[6] " لعلمي بأن الفرنسيين سيقومون بهجوم جديد ويتحتم عليّ أن أكون مستعدا لذلك" كما يذكر الحاج أحمد باي في مذكراته[7].

وفي هذه الأثناء قام أيضا بالانتقام من الناس الذين كانوا يريدون التسليم للفرنسيين أثناء قصفها وحكم عليهم بالإعدام ...[8]، وقد سُرَّ الحاج أحمد باي بانتصاره وكاتب السلطان العثماني وأخبره بتفاصيل الأحداث فأجابه برسالة هنأه فيها على انتصاره ووعده بإرسال نجدة عسكرية من الجنود والمدافع والمهندسين[9] .

---

[1] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، مرجع سابق، ص184 ، 185.

[2] عمار بن محمد بوزير، مقاومة أحمد باي في الشرق، شبكة الألوكة، الجزائر، ص23.

[3] محمد العربي الزبيري ،مقاومة الحاج أحمد باي، مرجع سابق، ص185.

[4] صالح فركوس، الحاج أحمد باي 1826-1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص66.

[5] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، مرجع سابق، ص40،41.

[6] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص189.

[7] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المرجع السابق، ص 41.

[8] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص141.

[9] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص71.

تأكد الحاج أحمد باي ألا مفر من الحرب بعد عزل كلوزيل واستبداله بالجنرال دامرمون في 12 فيفري 1837، وفشل جميع الاتصالات التي قادها بن بعجو والضابط الفرنسي فالتز ثم اليهودي بوجناح حيث اشترط الجنرال دامرمون دفع غرامة حرب ... وتنص الشروط أيضا على أن جميع القبائل تستطيع إذا رغبت في الاعتراف بسلطة فرنسا... رُفضت هذه الشروط من الباي نفسه وجميع أعيان المقاطعة [1].

ومن أجل إظهار نية الصلح أرسل الحاج أحمد كاتبه واثنان من المخازنية وقد حمّلهم رسالة جَدَّد فيها اقتراحاته للصلح، لكن الجنرال لم يتأثر ولم يدخل أي تغيير على الشروط[2].

استدعى الحاج أحمد قوات كبيرة وقواد من سائر جهات البايلك وجمع عديدا من الرجال المختصين باستعمال المدافع وكلف الخزناجي علي بن عيسى والبجاوي بالدفاع عن المدينة من الداخل بصحبة أربعة آلاف وخمسمائة رجل ووضع عدد من الألغام على أبواب المدينة الرئيسية ... وتوجه إلى مجاز عمار وهاجم القوات الفرنسية[3].

أما عن الاستعدادات الفرنسية؛ فإن كل القوات المسلحة قد نُقلت إلى الشرق الجزائري (بعد التوقيع على معاهدة تافنة مع الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري في30 من شهر ماي1837)، وكانت هذه القوات أكثر تنظيما وأحسن تأطيرا وأوفر عدة وعددا، فقد بلغ عدد أفرادها أزيد من خمسين ألف مقاتل، وضمت من بين قادتها أفضل التقنيين وأشهرهم، وكانت الحملة تحت قيادة الوالي العام نفسه وبمساعدة كل من الجنرال فالي والجنرال تريزال والجنرال روليار والجنرال لامي ...[4]، وقد شرع الجيش الفرنسي في التحرك من مدينة عنابة يوم 23 سبتمبر 1837، هاجمت قوات الحاج أحمد وبقيادته القوات الفرنسية في مجاز عمار قبل أن تلحق بها باقي القوات، ثم انسحب كما فعل في الحملة الأولى إلى دمدم ووادي الزناتي والصومعة فالمنصورة حيث التحق به الشيخ مولاي الشفقة من جبل البابور على رأس عشرة آلاف متطوع مع عدد كبير من الزعماء الكبار[5].

---

[1] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، ص46.

[2] نفسه، ص48.

[3] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص73.

[4] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، مرجع سابق، ص202.

[5] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص73.

وصلت الحملة الفرنسية إلى قسنطينة يوم 5 أكتوبر 1837 وحاصرتها، وأمطروا أسوار المدينة بوابل لا يكاد ينقطع من القنابل مركزين هجومهم نحو الأسوار الجنوبية الغربية... ومن الثغرات التي فتحت هناك دخل الغزاة قسنطينة ضحوة يوم الجمعة 14 رجب 1253 هجري 13 أكتوبر 1837م، لكنهم اضطروا إلى خوض حرب الشوارع من بيت إلى بيت، استشهد فيها المئات من الجزائريين دفاعا عن الأرض والعرض ... وسقطت المدينة يوم 14 أكتوبر 1837 وضل الغزاة ينهبون المدينة أيام متتالية[1].

ومن بين أسباب سقوط المدينة يذكر الحاج أحمد باي في مذكراته: "...نقص الخبرة الحربية فالألغام التي أعدت لتنفجر لم ينفجر منها إلا لغم واحد وكان ضرره على المدينة أكثر من الأعداء، رغم ما برهنوا عليه من قدرة فائقة على التضحية، إذ استطاعوا رغم تفاوت الإمكانيات العسكرية أن يلحقوا خسائر بجيوش الاحتلال التي تركت في ميدان المعركة القائد الأعلى الماريشال دامرمون وكذلك قائد الأركان الجنرال بيريغو بالإضافة إلى الجنرال كارامان وغيرهم" [2].

وكانت الأيام الموالية لسقوط المدينة كئيبة والحياة فيها تبدو كدرة وحزينة، فاليهود يتجولون عبر أزقتها زرافات ووحدانا ثم بدأت عملية النهب والاغتصاب من قبل الطوابير المختلفة ... ويشير الدكتور سيديو إلى هذه الأعمال الفضيعة بقوله" كان الفرنسيون ينهبون المتاع ويسلبونه من غير تمييز بين الشيوخ المسنين أو الأطفال " ويذكر سانت أورنو وهو أحد الشهود أنه "لن يتسع أكثر من وصف مشاهد النهب والفوضى العارمة التي دامت ثلاثة أيام، فلنلق عليها دثار النسيان كي لا نشوه صورة أمجادنا" [3].

[1] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989، دار المعرفة، الجزائر، ج1، ص117،118.

[2] محمد العربي الزبيري ،مقاومة الحاج أحمد باي الجزائر، مرجع سابق، ص204.

[3] عبد العزيز الفيلالي، جرائم الاستعمار الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830 – 1850، دار الهدى، الجزائر، ص113 ، 114.

ثالثا: المقاومة بعد سقوط قسنطينة والاستسلام

1- تجدد المقاومة بعد سقوط قسنطينة 1837:

فكّر الحاج أحمد باي بعد سقوط قسنطينة في وضع خطة لاستعادة المدينة وهو ما أشار إليه في مذكراته: " لذلك استدعيت قادة القوم فاجتمعوا حولي وبعد أن استعرضت الموقف اقترحت عليهم تشكيل زمالة بجميع الذين خرجوا من المدينة نقودها إلى مكان آمن في الجنوب ونبقيها فيه تحت حماية منشآتنا، أما نحن فنرجع فورا إلى المدينة ونتمركز في طريق عنابة بحيث نقطع حركة المرور، فنحن نعلم أن العدو خسر بالإضافة إلى كبير الجنرالات عدد آخر من الضباط وأن المؤن قد تكون نفذت[1].

غير أن ابن قانة عارض هذه الخطة بدعوى أن فرحات بن سعيد الخصم اللدود له يستعد لمهاجمتهم من الجنوب واقترح التوجه إليه أولا لمحاربته قبل الفرنسيين[2]... لم يجد أحمد باي بدا من الرضوخ لرأي ابن قانة وإن لم يقتنع به ... ولم تمض ثمانية أيام حتى التقى أحمد باي بفرحات بن سعيد وهزمه هزيمة نكراء[3]، وقتله أنصار ابن قانة على أراضي منطقة "توقرت"، ورغم هذه الهزيمة لم يتردد الحاج أحمد باي في وصفه بالشجاعة والمسؤولية مقارنة بأقربائه أبناء قانة [4].

ومن هنا دخلت المقاومة في الشرق الجزائري مرحلة جديدة تتمثل في تنقل أحمد باي من قبيلة إلى أخرى، وكلما حل بمكان وجه له الاستعمار سارية يشتبك معها تارة ويفر منها تارة أخرى؛ فتنقل إلى قبيلة الحنانشة ووقعت له عندهم فتن، فر في آخرها بوعزيز بن قانة إلى الصحراء وبدأ في الاتصال بالفرنسيين، ووجد الباي أحمد نفسه منتقلا إلى الحراكتة أكبر قبائل الدار البيضاء ومكث عندهم شهرين وبعد خروج حملة فرنسية من قسنطينة قصد قتاله تحول إلى وادي ريغ، ثم انتقل مرة أخرى إلى قبيلة الحنانشة ثم إلى جبال الأوراس أين خرج إليه طابور فرنسي لمقاتلته ثم رجع عنه بعد علمه باتجاهه ثم اتجه بعدها إلى الحضنة مرورا ببسكرة ...إلى جبال أولاد سلطان أين مكث عاما ونصف تخللتها حملة فرنسية خرجت في

[1] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، مرجع سابق، ص 53.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص74.

[3] عمار بن محمد بوزير،مقاومة أحمد باي في الشرق، مرجع سابق، ص25.

[4] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، مرجع سابق، ص222 ، 223.

طلبه من سطيف ... فخرج [أي أحمد باي] لقتالها فرجعت عنه.[1]

وفي عام 1843 استنجد به أولاد دراج وطلبوا منه أن يرافقهم إلى الحضنة ... وبقي الحاج أحمد هناك ... قبل أن يتجه إلى أولاد سلطان، ليمكث عندهم عاما ونصف.[2]

في هذه الأثناء قام الدوق دومال حاكم قسنطينة الجديد بجمع قواته ومن التحق بهم من قوات الجزائريين وحاصر أحمد باي في جبل أولاد سلطان وبعد معارك شرسة انهزم أحمد باي، ليفر ببعض أمتعته وأصحابه إلى قرية منعة الحصينة بالقرب من أريس[3]، ثم انسحب إلى جبل أحمر خدو وبقي فيه حوالي عامين.[4]

2- التفاوض والاستسلام:

أما عن التفاوض والاستسلام فيذكر أحمد باي في مذكراته: "أما أنا فقد استقريتُ في جبل أحمر خدو حوالي عامين، وذات يوم كتب لي القائد الفرنسي في بسكرة يقول أنه من المستحسن أن نضع حدا للعداوة القائمة بيننا، وتبادلنا عدة رسائل أدركت على إثرها أن السلم محبب عند الله وارتحت للاقتراح".[5]

ثم كتب له قائد باتنة، وبعد هذه المراسلات بأيام قليلة خرجت من باتنة قوة عسكرية كبيرة في اتجاه بني وجانة، ونظرا لانعدام التكافؤ في العدة والعتاد وخوفا مما يلحقه الاشتباك من ويلات مادية وبشرية دخل في تفاوض استمر بين أخذ ورد إلى غاية 05جوان 1848.[6] [6].1848

وهكذا سلم أحمد باي نفسه للفرنسيين وحُمل بعدها إلى بسكرة ثم إلى باتنة ثم إلى قسنطينة ثم سكيكدة فميناء الجزائر لينتظر وعود فرنسا، فقال رحمه الله " وإني أنتظر انجاز الوعود التي أعطيت لي وكلي ثقة في الله وخضوعا لإرادته".[7]

---

[1] عمار بن محمد بوزير، مقاومة أحمد باي في الشرق، مرجع سابق، ص 27.

[2] يحي بوعزيز ، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص77 ، 78.

[3] محمد الصالح العنتري، تاريخ قسنطينة ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر، مر تح يحي بوعزيز،2009، ص123.

[4] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص79.

[5] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مرجع سابق، 67.

[6] محمد العربي الزبيري ،مقاومة الحاج أحمد باي، مرجع سابق، ص270.

[7] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المرجع السابق، ص 69.

لكن فرنسا أخلفت العهد مرة أخرى وبدلا من السماح لممثل "استمرارية الدولة الجزائرية" على تعبير مؤرخنا الزبيري، بالتوجه إلى بلاد إسلامية حسب الاتفاق، فإنه نُقل أسيرا إلى العاصمة ثم وضع في الإقامة الجبرية إلى أن وافته المنية مسموما بعد ذلك بعامين (أي سنة 1850) بالجزائر العاصمة، ودفن في ضريح عبد الرحمان الثعالبي.[1]

[1] محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، مرجع سابق، ص230 ، 231.

الفصل الثاني

مقاومة الأمير عبد القادر

أولا: البَيْعة وبداية المقاومة العسكرية

1- بَيْعة الأمير

2- معاهدة ديميشال

3- بين الأمير والماريشال كلوزيل

ثانيا: معاهدة التافنة وتنظيم الدولة

1- معاهدة التافنة 1837

2- تنظيم الدولة

ثالثا: نقض المعاهدة والاستسلام

1- نقض معاهدة التافنة

2- التفاوض والاستسلام

أولا: البيعة وبداية المقاومة

1- بَيْعَة الأمير عبد القادر[1]:

عندما سقطت مدينة الجزائر في 5جويلية 1830، كان على رأس مقاطعة وهران حسن باي، وفي هذا الصدد يقول مؤرخنا العربي الزبيري في كتابه "الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر"أنه (أي باي وهران) كان شيخا طاعنا في السن ... وقد ظل يمارس الحكم في منصبه مدة أربعة عشر عاما، طبع خلالها إدارته بالنزاهة والاعتدال والاندماج في السكان الذين لم يستعمل العنف ضدهم أبدا ... ولأجل ذلك ازدهر بايلك وهران ازدهارا كبيرا، وكان الأهالي يعترفون له بالجميل ...

ومن المؤكد أن سحب القيادة الفرنسية بالجزائر ثقتها من باي وهران إنما كان نتيجة لإعلان هذا الأخير عن ولائه لباي التيطري السيد مصطفى بومزراق الذي نصب نفسه باشا على الإيالة وسك العملة باسمه.[2]

ولقد دخل الجيش الفرنسي مدينة وهران يوم 4 جانفي سنة 1831 في عهد المارشال كلوزيل الذي اتصل في حينه بباي تونس يعرض عليه إسناد بايلك الغرب إلى أحد أقاربه المسمى أحمد باي مقابل شروط وردت في مشروع اتفاقية من اثنتي عشرة مادة... ويؤكد الأمير محمد الجزائري بن الأمير عبد القادر في "تحفة الزائر" أن الباي الجديد تسلم مهامه في أوائل فبراير بعد أن أشهد على نفسه أنه فرنسي[3].

---

[1] هو عبد القادر ناصر الدين الابن الرابع لمحي الدين، وُلد في شهر ماي سنة 1807م في قرية القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقة أغريس (بمعسكر) التي تقع في إقليم وهران في الجزائر، قاد المقاومة الجزائرية المسلحة ضد الاحتلال منذ مبايعته بالإمارة سنة 1832م، أجبرت انتصاراته العدو على توقيع معاهدات صلح معه على غرار ديمشيل 1834 والتافنة 1837م والاعتراف بدولته، لكنه أُضطر في النهاية ولعدم تكافؤ القوة وأسباب أخرى إلى الاستسلام يوم 27ديسمبر 1847م ليتم اعتقاله 5سنوات ونصف بسجن في مدينة "بو" الفرنسية، ثم نفيه فاستقر بدمشق التي توفي بها عام 1883م عن عمر ستة وسبعين سنة، وفي ذكرى الاستقلال جويلية 1966 نُقل رفاته إلى مقبرة العالية بالجزائر العاصمة" للمزيد من المعلومات عن حياة الأمير يُرجع إلى يحي بوعزيز، "الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري"، ط2 دمشق، 1864، ص196 وما بعدها، ومحمد العربي الزبيري، "الكفاح المسلح في عهد الأمير"، ط2 دار الحكمة، الجزائر، 2014، ص16...

[2] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص22 وما بعدها.

[3] الأمير محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ص 88.

غير أنه لم يتمتع طويلا بمنصبه، ذلك أن الحكومة الفرنسية استدعت المارشال كلوزيل واستبدلته بالجنرال تريزيل الذي عيّن بدوره الجنرال بوايي حاكما على وهران[1] .

بالعودة للأمير... فقد كان والده محي الدين رجلا ورعا تقيا ومحترما من كل الذين يعرفونه، كما أنه كان مقاتلا شجاعا وعالما تخرّج على يده العديد من المثقفين في ذلك الحين، لكن محي الدين لم يكن مستعدا للقيام بالمهمة الخطيرة التي عرضت عليه ألا وهي قيادة المقاومة، فاعتذر بكبر سنه، ووعد في نفس الوقت بأنه لن يتردد في خوض المعارك وقيادتها عند الحاجة ضد الغزاة المحتلين.

وفعلا لقد شرع محي الدين منذ شهر أفريل سنة 1832، يشن الهجومات المتعددة على دوريات الجيش الفرنسي بالقرب من مدينة وهران[2].

غير أن أهم المعارك التي خطط لها، تلك التي ذكرها الأمير محمد في تحفته وعددها ثلاث : وقعتي خنق النطاح الأولى والثانية ووقعة برج رأس العين [3] .

ولقد بدأ الاستعداد للمعركة الأولى يوم 29 ماي سنة 1832 ووقعت على مراحل، تكبد الفرنسيون خلالها خسائر فادحة وقد شارك الأمير عبد القادر كمقاتل في صفوف المجاهدين، أما وقعة خنق النطاح الثانية فإنها جرت بعد الأولى بأيام قلائل، ولقد قادها الأمير عبد القادر نيابة عن والده، الذي منعه المرض من المشاركة فى القتال، وتُنسب إلى الوالد على رأي العربي الزبيري وغيره من المؤرخين، لأنه حضر لها من البداية وكانت تلك المعركة هي أول فرصة أتيحت للأمير فاغتنمها، كقائد لاختبار عبقريته العسكرية، وعن المعركة الثالثة التي قادها الأمير أيضا لكن تحت إشراف والده، فإنها وقعت في19 من شهر سبتمبر سنة 1832 وانتهت بهزيمة الجنرال بوايي، وضرب حصار مشدد على مدينة وهران ودام شهرا بأكمله، وهنا بدأ أعيان غريس يتصلون بمحي الدين للمرة الثانية يعرضون عليه بيعة القبائل على الإمارة [4].

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص25.

[2] نفسه، ص 26.

[3] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 92 وما بعدها.

[4] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص 26.

وفى هذه المرة فإن محي الدين لم يرفض، بل أبدى موافقته، لكن لفائدة ابنه المحبب عبد القادر... والذي التحق بوادي فروحة في سهل غريس حيث خَيّم الأعيان وكبار القبائل في انتظار تأدية مراسيم البيعة، التي تمت (كما يقول الأمير محمد في تحفته) عند شجرة الدردارة في الثالث من رجب سنة 1248هجرية الموافق27 من نوفمبر سنة1832ميلادية.[1]

هكذا تمت البيعة الأولى، وعلى إثرها مباشرة بادر الأمير عبد القادر إلى مكاتبة سائر القبائل المتواجدة في مختلف أنحاء البلاد، يخبرها بأن أهل معسكر وغريس قد بايعوه من أجل إعلاء كلمة الله، وحماية البلاد من العدو ... ويدعوها لإرسال ممثلين عنها قصد أداء البيعة وإعلان الانضمام إليه، إذ لم يمض أكثر من سبعين يوما حتى حضر إلى مدينة معسكر مقر الإمارة عدد كبير من الأعيان والعلماء إلى جانب جمهور غفير من المواطنين البسطاء وانعقد مجلس عام تمت فيه ما يسمى بالبيعة الثانية. [2]

وبعد الانتهاء من البيعة على النحو الذي ذكرناه يقول المؤرخ الزبيري، بدأ الأمير عبد القادر يباشر عمله كمسؤول أول، فأعلن عن إلغاء المغارم والضرائب والعوائد التي كانت تدفع للبايلك، في العهد العثماني ... وهناك إجراء سياسي آخر تجدر الإشارة إليه، وهو اختيار مدينة معسكر لتكون عاصمة له، كما أمر بالنداء في الأسواق والساحات العامة عن البدء في إنشاء جيش منظم يستطيع الانضمام إلى صفوفه كل جزائري قادر يرغب في الدفاع عن أرض الوطن ... وتولى الأمير عبد القادر عمليات التنظيم بنفسه، فجعل الجيش ثلاث فرق المشاة والخيالة فالمدفعيون، وعيَّن على كل فرقة رئيسا أسماه الآغا، ثم وضع القوانين التي تسيّر تلك الفرق والتي جمعت فيما يسمى بـ "وشائح الكاتب وزينة العسكر المحمدي الغالب" وهى تشتمل على مقدمة وأربعة وعشرين قانونا وخاتمة ... ومباشرة بعد البيعة شرعت الوحدات الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر تضيق الخناق على جيوش الجنرال بوايي رغم عدم تكافؤ القوة ماجعل القائد الأعلى في البلاد يسخط على بوايي ويستبدله بالجنرال ديميشال في الرابع من ذي الحجة 1249هـ الموافق 15 أفريل سنة 1833م.[3]

---

[1] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 101.

[2] نفسه، ص 102 ، 103 .

[3] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر،مرجع سابق، ص 39.

2- معاهدة ديميشال 1834:

وبسرعة فائقة ظهرت نتائج تنظيم الجيش وتدريبه، ومن جملة ذلك أن ديميشال نفسه لم يجرؤ قط، على منازلة الجيش الجزائري الفتيّ الذي ظل يشن غاراته على العدو، مسيطرا على المنطقة سيطرة كلية ... وحينما يئس ديميشال من التفوق عسكريا على الأمير عبد القادر جنح إلى السلم وراح يبحث عن سبل مشرّفة لفتح الحوار وإجراء التفاوض لذلك الغرض... لقد أعرض الأمير وامتنع في بادئ الأمر لعدم ثقته في الكلمة الفرنسية التي لم تحفظ معاهدة الجزائر الأولى [يقصد بها معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830]، ولكن إلحاح ديميشال ومساعيه المتكررة، جعلت عبد القادر يرسل ابن عراش وزير خارجيته إلى وهران يتحادث ويتفاوض، ثم توجت اللقاءات المتتالية بتلك المعاهدة التي أسالت الكثير من الحبر والتي أطلق عليها اسم معاهدة ديميشال[1].

وعلى ما نعلم كما يذكر المؤرخ الزبيري، فإن تلك المعاهدة هي أول عمل دبلوماسي ذو بال يقوم به الأمير، وأول انتصار سيكون له تأثيره البالغ على سير الأحداث في المستقبل، ومن جهته فإن الجنرال ديميشال يعتبر نفس المعاهدة مكسبا لحكومته، نستخلص ذلك من رسالة وجهها إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 5 مارس سنة 1834 وجاء فيها بأن ما توصل إليه نتيجة هائلة تفوق كل ما كان يخطر بباله.

والواقع أن معاهدة ديميشال قد أفادت كلا من الطرفين (يذكر الزبيري)، ولكن الفائدة التي جناها الأمير كانت أكبر، للأسباب التالية:

- حاجة الأمير الأكيدة إلى سلام حقيقي ولو لمدة حتى يركز كل الجهود على عمليات التجنيد والتدريب.

- أن إقامة جيش منظم تحتاج إلى أسلحة وذخيرة وعتاد حربي وإلى مدربين أكفاء، وفى المعاهدة بند خاص بحرية التجارة والاعتراف باستقلال حكومة الأمير.

- أن التوقيع على المعاهدة اعتراف من فرنسا بأن حكومة عبد القادر هي السلطة الوحيدة التي يمكن أن تحكم المنطقة.

وبالنسبة للجنرال ديميشال، فإن أهم مزايا المعاهدة حسب الزبيري يمكن حصرها في الآتي:

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص42 ، 43.

– فك الحصار الاقتصادي المضروب باستمرار على كل من وهران وأرزيو ومستغانم، والذي لم تتمكن القوات الفرنسية المسلحة من صده بالقوة.

– إقرار السلم في المنطقة، وبذلك استطاع الجنرال أن يطمئن الرأي العام في فرنسا وخاصة مجلس النواب وأجهزة الإعلام التي نظمت حملة واسعة النطاق لفائدة المعاهدة.

– تقديم البرهان للحكومة الفرنسية على أنه أي ديميشال قادر على التفاهم مع المقاومة الجزائرية على عكس القائد الأعلى في الجزائر الذي يواصل حملات غير مجدية ضد القبائل[1].

وعلى أية حال، فإن الأمير محمد الجزائري يذكر أن معاهدة ديميشال قد صيغت بمدينة وهران في 17 من شوال سنة 1249هـ، الموافقة 28 من شهر فيفرى سنة 1834م ...[2]

غير أن هذه المعاهدة واجهتها انتقادات كبيرة من عسكريين وسياسيين وإعلاميين فرنسيين ... فقد استجابت السلطات الفرنسية لهذه الضغوطات، واستهلت ذلك بإصدار أمر ملكي يقضى بتعيين السيد دوري دارولون حاكما عاما للجزائر، الذي وصل إلى مدينة الجزائر يوم 27 سبتمبر سنة 1834م وعمره آنذاك سبعون سنة، وكانت مهمته الأساسية التي عين من أجلها هي إيجاد أحسن السبل لنكث معاهدة ديميشال، لأجل ذلك فإن أول عمل قام به هو فتح تحقيق حول مساوئ ومزايا المعاهدة، وقد تم ذلك بوضع تقرير قدم للوالي العام بتاريخ 22 نوفمبر سنة 1834 ومما جاء فيه : "إن خسائرنا من خلال هذه المعاهدة ليست مادية فحسب، بل أن الأمر يتعلق بمكانتنا السياسية ونفوذنا، وسيادتنا ..."[3]

فكان التقرير ضربة قاضية بالنسبة للجنرال ديميشال الذي سحبت منه باريس ثقتها، وصدر في شأنه أمر ملكي بتاريخ 15 جانفي سنة 1835 ينص على استبداله بالجنرال تريزيل .[4]

وأحس الأمير عبد القادر أن تصرفات الحكومة الفرنسية تجاه ديميشال إنما هي موجهة ضد المعاهدة، وأراد أن يختبر ذلك، فأرسل وزير خارجيته على رأس وفد يهنئ الوالي الجديد

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص46

[2] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص106

[3] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص 58.

[4] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر أبو القاسم سعد الله دار الرائد، الجزائر2009، ص 126.

ويجرى معه مفاوضات حول أعمال تنوي حكومته القيام بها لتوطيد الراحة في جميع المقاطعات الداخلية. [1]

وبمجرد أن وصل دارلون إلى مسامعه نبأ تحرك الأمير في اتجاه مليانة والمدية حتى أصابه الغضب وكتب للأمير رسالته مدعيا بأن معاهدة ديميشال لا تعني سوى مقاطعة وهران التي ذكر بأن حدودها لا تتجاوز شرقا وادي الشلف ووادي أرهيو، وفهم الأمير عبد القادر أن الحاكم الفرنسي إنما يريد التحلل من عهده. [2]

هكذا نقضت معاهدة ديميشال بسبب طموحات تريزيل المتزايدة ... أما الاتفاقية في حد ذاتها فإنها تكون قد دامت حوالي ستة عشر شهرا، عرفت الجزائر الغربية خلالها نوعا من السلام المساعد على الاستعداد لمواصلة الكفاح المسلح من أجل استرجاع السيادة والكرامة.[3]

أما تاريخ نقض المعاهدة، فإن الدارس حسب الزبيري يستطيع تحديده بيوم 21 جوان سنة 1835.[4]

ولقد اعتبر الأمير عبد القادر نقض المعاهدة إعلانا للحرب، فراح يستعد للمقاومة ويدعو إلى الجهاد والاستشهاد ومما جاء في خطبته بهذا الصدد: "إن هؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا، وصدقناهم فغدروا، وصابرناهم فلم يصبروا، وإن تركناهم وشأنهم فلا نلبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة، فهيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد، وهلموا إليه باجتهاد".[5]

3- بين الأمير والمارشال كلوزيل:

تؤكد جميع المصادر أن الجنرال تريزيل شرع فعلا في تجهيز حملة عسكرية في جيش من المشاة تعداده خمسة آلاف جندي، مدعما بفرقة من الخيالة وأربع قطع مدافع وعشرين مركبة، ومن جهته أمر الأمير بتجنيد ألفي فارس وألف من المشاة، وتوجه على جناح السرعة إلى وادى سيق[6]، ثم وزع المهام على خليفتيْه البوحميدي وبوشقور؛ بحيث يكون

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 59.

[2] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 146.

[3] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص 70.

[4] نفسه، ص72.

[5] الأمير محمد، تحفة الزائر، المرجع السابق، ص150.

[6] يسمى كذلك "الوادى المكار"، طوله 220 كلم وله سهل يسقيه يحمل اسمه.(ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، المرجع السابق ، ص 75)

الأول على الميمنة ويكون الثاني على الميسرة، في حين يحتل هو بنفسه قلب الهجوم الذي وقع في المكان المسمى (حوش مولاي إسماعيل) الكائن على مقربة من سيق، وتذكر المصادر على قول مؤرخنا أن معركة "المقطع" قد وقعت على مرحلتين أساسيتين:

– المرحلة الأولى، وهى التي بدأت مساء يوم 26 من شهر جويلية سنة 1835 بالمكان المذكور أعلاه، وقد دامت ثلاثة أيام كاملة انهزمت على إثرها جيوش الجنرال تريزيل.

– أما المرحلة الثانية فتبدأ عندما تمكن تريزيل وضباطه من السير إلى نهر سيق عشية اليوم التاسع والعشرين حيث نصبوا معسكرهم على ضفته اليسرى، ولما كان الاتجاه الجديد يتطلب حتما المرور بمضيق وادي هبرة[1] أمر الأمير بالإسراع في احتلاله والسيطرة عليه ولتحقيق ذلك حدد لجيشه هدفا "المكان المسمى بالمقطع" لقطع الطريق أمام قوات العدو.

ولكم كانت دهشة الجنرال تريزيل وجنوده كبيرة عندما طالعتهم فرق الجيش النظامي تسد الطريق أمامهم عند المقطع بالضبط.[2]

ويقول صاحب التحفة: "إن العسكر الفرنساوي اضطرب، وخاض بعضه في بعض، واختل نظامه وألجأه المسلمون إلى غياض النهر، وأذاقوه نكال الحرب وأثخنوا فيه بالقتل والأسر ... وأكبّ المسلمون على جمع الغنائم والأسرى إلى الغروب". [3]

ولقد انتشر خبر هذه الهزيمة بسرعة فائقة عبر كامل أنحاء فرنسا واهتز لها الرأي العام الذي راح يطالب بالثأر لآلاف الأرامل واليتامى ومعاقبة المسؤولين الرئيسيين عن وقوع تلك الكارثة، ونوقشت المسألة طويلا في مجلس النواب، وانتهت المشاورات باستدعاء الجنرال (تريزيل) للجزائر مطأطئ الرأس مذلولا، بعد أن عُزل وجُرّد من كل أنواع المسؤولية وتحاملت عليه الصحافة الفرنسية بمختلف ميولاتها واتجاهاتها...

كما أن هزيمة المقطع قد فتحت باب الحرب واسعة في الجزائر لأن فرنسا كلها طالبت بالثأر وهى لذلك وافقت بواسطة مجلس نوابها، على رفع عدد الجنود العاملين بالجزائر... ولقد دخل ذلك القرار حيز التنفيذ مع تعيين المارشال كلوزيل مكان دوري دارلون الذي تم

[1] من روافد وادي سيق، ينبع من جبال سعيدة تحت اسم "وادي الحمام".(ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 77).

[2] نفسه، ص ص 73، 75.

[3] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 153.

عزله هو الآخر، واصطحب كلوزيل مقدارا وافرا من الجنود عندما نزل بمدينة الجزائر يوم 10 أوت سنة 1835[1]... ولم يكن ذلك يخفى عن الأمير عبد القادر الذي كتب إلى خلفائه ينبههم، ويدعوهم للتأهب إلى حرب قال إنها ستكون طويلة وشديدة.

ولكن كلوزيل لم يترك له وقتا كافيا لاجتياز تلك العقبة، إذ باغته بالخروج من وهران على رأس حملة مكونة من حوالي خمسة عشر ألف رجل يسيّرهم أمثال دوق أورليون، والجنرالات دارلونج وبيريقو وأودينو ويتقدم الجميع مئات الفرسان والمشاة...ولقد كان الأمير عبد القادر مُقدرا لعدم التكافؤ بين قواته وقوات العدو ... وعلى هذا الأساس فإنه لم يحاول تحصين معسكر بل أمر بإخلائها كما سيأمر فيما بعد بإخلاء مدينة تلمسان تطبيقا للنظرية القائلة "أن كل محصور مأخوذ"، وانطلق كلوزيل ومساعدوه من وهران على رأس الجيوش الغازية صبيحة يوم27 من نوفمبر من نفس السنة، وكانت المقاومة شديدة، بحيث استغرق السير إلى (معسكر) عشرة أيام كاملة، ووجد الجيش الفرنسي بعاصمة الأمير بلدة خاوية على عروشها ليس فيها سوى العجزة بأنواعهم أو جماعة من اليهود التجار الذين اغتنموا تلك الفرصة فنهبوا الديار وسلبوها.[2]

وكان انسحاب الفرنسيين خطأ فادحا (حسب مؤرخنا)؛ فقد شجع خروج جيوش كلوزيل من معسكر في اليوم الثامن من شهر ديسمبر، الأمير عبد القادر على الرجوع إليها في اليوم التاسع من نفس الشهر دون حرب ودون عناء، وأمر على الفور بتعبئة الجيوش والاستعداد الحثيث لملاحقة الجيوش الفرنسية قبل وصولها إلى وهران ومستغانم. [3]

ولقد فوجئ المارشال كلوزيل عندما أتى إلى مسامعه بأن الجيوش الجزائرية عادت إلى معسكر وأُعيد تنظيمها بسرعة فائقة... كل ذلك قد دفعه إلى تنظيم حملة تلمسان.[4]

بدأت الحملة يوم الثامن من شهر جانفي سنة 1836، وقادها المارشال نفسه، وفي هذه المرة قرر المارشال الاحتفاظ بتلمسان حتى لا يتمكن الأمير من أن يكرر عملية معسكر،

---

[1] وهنا تجدر الإشارة أن الأمير محمد يذكر في التحفة أن وصول كلوزيل كان يوم 13 أوت، وهذا غير صحيح حسب الزبيري (ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 83).

[2] نفسه ، ص81.

[3] نفسه، ص ص87 ، 89.

[4] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 159.

ونظرا إلى أن الإقامة بتلمسان وكذلك الحملة في حد ذاتها يتطلبان تكاليف باهضة، أصدرت القيادة الفرنسية تدابير تعسفية تحمَّل عِبْئها كل من كان بالمدينة... وأهم ما تضمنته فرض ضريبة غير معقولة على كل مواطن ومواطنة لم يحاش في ذلك حتى أولائك الذين استنجدوا به وفرحوا أشد الفرح بمقدمه، وتذكر المصادر(حسب الزبيري) أن المواطنين كانوا يبيعون كل ما يملكون لتسديد الإتاوة المفروضة على كل واحد منهم ... وهناك من لا تكفيه مبيعاته فيدفع الفارق حبسا وتعذيبا.

وفي المقابل فإن الأمير كان يترصد تحركات الجيش الفرنسي، واشتبك الطرفان في معركة حامية الوطيس دامت عشرة أيام متواصلة، اضطر المارشال على إثرها إلى العودة لمدينة تلمسان حيث تحصن بالقلعة في اليوم العاشر من فبراير سنة 1836، ثم اللجوء إلى ميناء رشكون، ومن هناك استنجد (كلوزيل) وانتظر – محاصرا – شهرين متتاليين قبل أن تصل إليه المراكب التي نقلته ومن تبقى معه إلى عاصمة الغرب الجزائري[1].

وبمجرد وصوله إلى وهران وجد استدعاء من باريس لتقديم عرض عن نشاطه أمام مجلس النواب، وليواجه بنفسه الحملة الصحفية الموجهة ضده شخصيا، وضد عمليات الغزو في الجزائر، وعندما رجع المارشال من باريس، كان الحصار مايزال مضروبا ، وسيظل كذلك إلى أن يُعيّن المارشال بيجو لفكه في شهر جويلية سنة 1836، بعد حوالي ثلاثة أشهر من بدئه.

لقد كان كلوزيل يعلم أنه عاجز عن نجدة محاصَري وادي التافنة بتلمسان، في حين لم تعد سمعته تتحمل هزيمة جديدة، لذلك قرر تغيير الاتجاه والتنقل بحوالي عشرة آلاف رجل نحو شرق البلاد لاحتلال مدينة قسنطينة ظنا منه أن نصرا يحرزه على جيوش أحمد باي سيمحى عار رشكون وتافنة من بعده.[2]

[1] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 159.

[2] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق ، ص 96 ، 97.

ثانيا: معاهدة التافنة وتنظيم الدولة

1- معاهدة التافنة 1837:

بالعودة إلى وادي تافنة وإلى مصبه بالذات حيث نزل الجنرال بيجو على رأس ثلاثة جيوش يومي 4 و6 جوان 1836، وبدون انتظار باغت قوات الأمير التي اضطرت للانسحاب تاركة له حرية التصرف في المعسكر الذي أعاد تحصينه، ثم ترك فيه حامية مكونة من حوالي ألفى رجل، وانتقل إلى مدينة وهران في اليوم العاشر من نفس الشهر .

لم يبق بيجو في تلمسان سوى يومين خرج بعدهما إلى ميناء رشكون يبغى ربطه بعاصمة بني عبد الواد، محملا بالمؤن والذخائر، وعندها هاجمته قوات الأمير في اليوم السادس من شهر جويلية بوادي السكاك...

لكن بيجو الذي درس أسباب هزيمة المقطع، لم يقع في الفخ الذي نصب له وتمكنت قواته من تحقيق نصر كبير على قوات الأمير، وهكذا كانت معركة السكاك هزيمة شنعاء كلفت القوات الجزائرية خسائر فادحة في الأرواح خاصة.

أما بيجو فإنه قد استفاد شخصيا من المعركة لأن انتصاره ذلك قد أثبت لقيادة الجيش في الجزائر والرأي العام الفرنسي بأنه قادر على تقديم المزيد من الخدمات للأمة الفرنسية ... وهكذا قررت الحكومة أنها تختار طريق الحرب الذي دشنته بعزل المارشال كلوزيل، واستبداله بالجنرال دامرمون يوم 12 فيفرى سنة 1837.[1]

وأما الأمير عبد القادر فإنه تمكن من النهوض، بعد الكبوة التي تسببت له فيها هزيمة وادي السكاك واستطاع أن يعيد جميع قواته وينظمها على النحو الذي كانت عليه من قبل، فأمر بتحركات عسكرية هامة يلخصها المؤرخ الزبيري فيما يلى:

- قيام خليفة مليانة السيد محمد بن علال بشن هجومات متكررة على سائر أنحاء منطقة متيجة، توجت بحصار اقتصادي على مدينة الجزائر نفسها.

- قيام الخليفتين مصطفى بن التهامي والبوحميدي بهجوم شامل على مدينة وهران وضواحيها.

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 101 وما بعدها.

– قيامه شخصيا، على رأس جيش هام بمنازلة الحامية الفرنسية المرابطة بتلمسان، وتضييق الخناق عليها إلى أن كاد أفرادها يموتون جوعا لو لم يتدخل اليهودي ابن دران فأقام نوعا من المعاهدة بين الأمير وحاكم وهران[1] نتج عنها فك الحصار المضروب على كل من الجزائر ووهران وتلمسان، الذي خلف أضرارا كبيرة لجيوش الاحتلال الفرنسي.

وهكذا جاء الاتفاق الذي حصل يوم 3 جانفي سنة 1837 مفيدا بالنسبة للطرفين، وبدرجة أكبر لصانعه اليهودي ابن دران، الذي كان يأخذ من الاثنين ولا يعطى شيئا.[2]

لم يكن بيجو هو صاحب فكرة التفاوض مع الأمير عبد القادر ولكن هذا الأخير هو الذي أبدى رغبته في أن يفتح مع الجنرال دامرمون (الحاكم العام) حوارا، قد يؤدي إلى تجديد ما يسمى بمعاهدة دي ميشال.[3]

وصل منتصر وادي السكاك إلى وهران يوم 5 أفريل 1837 وأراد على الفور أن يدخل في التفاوض مع الأمير الذي كان على علم بمطامع بيجو... لكن الأمير تحاشى الرد على رسالة بيجو وتوجه إلى الجنرال دامرمون يدعوه إلى استئناف التفاوض معه.

وإذا كان القائد الأعلى قد سُرّ بهذه المراسلة، واعتبر مبادرة الأمير تكريما له وتفضيلا يحتمان عليه الرد عليهما، فإن بيجو الذي أتاه نبأ المراسلة قد استشاط غيضا، فأبرق إلى وزير الحرب يشكوه تصرفات دامرمون ويرجوه أمره بالابتعاد عن الموضوع وهو ما فعل.

وتشير الوثائق كما يقول مؤرخنا، إلى أن دامرمون قد نفذ تعليمات وزير الحرب مرغما، وقد اضطر الأمير نتيجة ذلك إلى العودة لعاصمته وإلى فتح الحوار من جديد مع بيجو.[4]

وتجمع المصادر التاريخية كما يقول المؤرخ الزبيري أن ذلك الحوار قد تُوِّج بنتيجة إيجابية هي معاهدة التافنة التي تم التوقيع عليها يوم 30 ماي سنة 1837، بعد حوالي أسبوع من النقاش الجاد وتبادل الآراء.

---

[1] هو الجنرال فروسارد الذي ولد سنة 1807 وتوفى سنة 1875، (ارجع إلى:محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 103).

[2] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 170 وما بعدها.

[3] نفسه، ص 177.

[4] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص 110.

ولكن الذي لم يُتفق عليه حتى الآن حسب رأي الزبيري فهو نص تلك المعاهدة لأن ما يوجد بين أيدينا لا يمكن قبوله كعمل أصلي، لأسباب عديدة أهمها ما يلي:

– أن الوثيقة العربية المتداولة والمجمع على أنها معاهدة التافنة ... وثيقة مزيّفة لأنها جاءت مكتوبة على صفحتين كاملتين بلا ختم ولا توقيع، في حين أننا نعرف أن المعاهدة الحقيقية كُتبت باللغتين على صفحة واحدة، بحيث نقرأ على اليمين نصها العربي وعلى اليسار نصها الفرنسي.

– أن الأمير عبد القادر كان قد خابر بيجو، وأعلمه بأن المسلمين لا يرضون أن يكونوا تحت حُكم الإفرنج، ولذلك فمن المستحيل أن يكون قد وقّع على وثيقة ينص شرطها الأول على الاعتراف بحكم سلطنة فرنسا في أفريقيا.

– أن الوثيقة مكتوبة بلغة عامية –لا يرضى الأمير عبد القادر ونحن نعرف باعه الطويل في مجال العلم والمعرفة– أن تصدر باسمه، ولا أن يُوقِّع عليها.

– أن المعاهدة مشتركة ومع ذلك فإنها لا تحمل التاريخ الميلادي الموافق للتاريخ الهجري، هذا بالإضافة إلى أنه لم يذكر في نهاية النص أسماء وصفات المتفقين على الشروط .

– أن الورق المُستعمل لكتابة المعاهدة غير رسمي، كما أن ذكر الأمير عبد القادر الوارد في مستهل النص بدون صفة أمير المؤمنين وبدون ذكر اسم والده كما تعودنا أن نرى ذلك في كل مكتوب داخلي أو خارجي، يدل دليلا قاطعا على أن الوثيقة التي بين أيدينا ليست هي الأصليّة التي يكون الأمير عبد القادر قد صادق عليها[1] ... ومهما يكن، فإن الجانبين قد بذلا كل ما وسعهما لإبرام معاهدة التافنة التي كانت مفيدة بالنسبة إليهما؛ أما الفرنسيون فإنهم أمّنوا بها جانب الأمير عبد القادر ليتمكنوا من تصفية حساب أحمد باي في الشرق الجزائري... وأما الجزائريون فإن معاهدة التافنة قد مكنتهم من استرجاع مدينة تلمسان[2] التي

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص111 وما بعدها.

[2] كانت فرحة الأمير عبد القادر باسترجاع مدينة تلمسان لا تضاهيها فرحة،ولقد عبر عنها في قصيدة هائية جاء فيها:

ونادت أعبد القادر المنقـذ الـذي أغثت أناسا من بحـار هواهـــا

لأنك أعطيـت المفاتيـح عنـــوة فزدني أيا عز الجزائـر جاهـــا

ووهران والمرساة كلا بمن حـوت بدت حائزات –من حماك– مناها

(ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص118).

عانت الكثير من السيطرة الأجنبية، كما أن المعاهدة قد أعطت للجزائر المستقلة ميناءً[1] يمكّنها من الاتجار مع الخارج بكل حرية، إضافة إلى أنها وسعت من رقعة منطقة نفوذ الأمير عبد القادر... وقد تم التوقيع على المعاهدة رسميا من الملك لويس فليب يوم 15 جوان سنة 1837.[2]

2- تنظيم الدولة:

لئن كان بيجو قد غادر وهران متجها إلى باريس في منتصف شهر ديسمبر سنة 1837 دون أن يحقق أمنيته الغالية والمتمثلة في الوصول إلى منصب الحاكم العام للجيوش الفرنسية بالجزائر، وفى الوقت الذي كانت فيه جيوش الاحتلال الفرنسي تنشغل بالاستعمار الاستيطاني على الساحل وفي الشرق الجزائري، حيث سقطت مدينة قسنطينة يوم 13 أكتوبر سنة 1837.

فإن عبد القادر الذي بلغ ما كان يسعى إليه من تحقيق سلم وقتي واعتراف بسلطته واستقلاله، قد راح يعمل على تثبيت نظامه وتنظيم دولته الواسعة الأرجاء... [3]

ولئن أراد الدارس أن يُقيِّم معاهدة التافنة، لجأ إلى تعداد المزايا المترتبة عنها بالنسبة للدولة الجزائرية، وفيما يلى بعضها كما أوردها صاحب "الكفاح المسلح في عهد الأمير" :

<u>في مجال التنظيم الداخلي</u> : عمد الأمير إلى تقسيم منطقة نفوذه والتي أصبحت تغطي رقعة شاسعة من مختلف أنحاء البلاد ، إلى ثماني مقاطعات هي :

- مقاطعة معسكر، عاصمتها مدينة معسكر وخليفتها السيد الحاج مصطفى بن أحمد التهامي الذي كان مسؤولا عن كتابة الديوان الأميري.
- مقاطعة تلمسان، عاصمتها مدينة تلمسان وخليفتها السيد محمد البوحميدى الولهاصي.
- مقاطعة مليانة، عاصمتها مدينة مليانة وخليفتها السيد محي الدين بن علال القليمي .
- مقاطعة تيطرى، عاصمتها مدينة المدية وخليفتها محمد البركاني .

[1] المقصود هنا ميناء رشكون الذي سبقت الإشارة إليه. (ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 118،119).

[2] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص ص 118 ، 122.

[3] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 44 ، 45.

– مقاطعة مجانة ، عاصمتها مدينة سطيف وتداول على خلافتها كل من السادة : محمد بن عبد السلام المقراني، محمد الخروبي القلعي، ومحمد بن عمر العيسوي.

– مقاطعة الزيبان، عاصمتها بسكرة، وتداول على خلافتها كل من السادة : فرحات بن سعيد، حسان بن عزوز ومحمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحاج.

– مقاطعة الجبال، عاصمتها مدينة برج حمزة وخليفتها السيد أحمد بن سالم الدبيسي.

– مقاطعة غربى الصحراء، وخليفتها هو السيد قدور بن عبد الباقي.

ولكي يتمكن الأمير من مراقبة خلفائه وسائر المسؤولين في مختلف الجهات التابعة لسلطانه، كان يرسل المنادين، يجوبون البلاد ويدعون المواطنين إلى رفع قضاياهم للأمير نفسه عندما لا ينصفهم الولاة أو يتعرضون لظلمهم وبذلك استطاع أن يخلق جوا من العدل والطمأنينة والحرية في كل مكان، التي لابد منها من أجل إقامة دولة قوية... [1]

وفي المجال التعليمي والثقافي، بذل الأمير عبد القادر كل ما في وسعه لنشر المعرفة في السهول وفى الجبال؛ ومن ذلك تعيينه في سائر المدن والقرى مُدَرِّسين يُعَلِّمون مختلف المواد الشائع استعمالها في ذلك الحين، كما أمر باحترام المثقفين أينما وجدوا، وبإعفائهم من الضرائب ... كما عمل الأمير على جلب الكتب وتوفيرها بقدر المستطاع، وأنشأ في تأكدمت مكتبة وطنية...[2].

وفي المجال السياسي ، حاول أن يكون نظامه أقرب ما يمكن إلى الديمقراطية حتى يتسنى لكل مواطن أن يتحمل مسؤوليته كاملة...ولتحقيق ذلك أنشأ مجالس الشورى في مستوى كل وحدة إدارية، وأسندت رئاسة تلك المجالس للقضاة ... ثم إن كل مجلس مربوط مباشرة بالمجلس الأعلى وهو مجلس مكون من أحد عشر عالما يرأسه الأمير ذاته بمساعدة قاضي القضاة الذي يتولى مهمة الرئاسة عندما يكون الأمير غائبا أو مشغولا .

وبالنسبة للعلاقات مع الخارج، فإن الأمير قد عمل على تحسين علاقاته مع ملك المغرب الأقصى "السلطان عبد الرحمن" وحاول التقرب من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عن

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 128.

[2] يذكر الأمير محمد أن تلك المكتبة نقلت فيما بعد إلى الزمالة، ثم أتلفت كلها في وقعة طاكين على يد ابن ملك فرنسا دوق دومال (ارجع إلى: الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص201، 202)

طريق قنصلها بالجزائر السيد كزماني ... غير أن تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح لقصر فترة السلام من جهة، ولعمل الجانب الفرنسي على إحباط كل المساعي التي من شأنها أن تفتح الحوار بين الجزائر والعالم الخارجي، من جهة أخرى .

وفي المجال الاجتماعي، اهتم عبد القادر بتكوين الإنسان الجزائري السليم القادر على التصدي بقوة، للمكاره بجميع أنواعها؛ ومن جملة الإجراءات المتخذة في هذا الميدان تلك المتعلقة بمحاربة سائر الشرور المتمثلة في شرب الخمر ولعب القمار، والتدخين... كما أنه أمر بفتح صيدليات في كل المقاطعات، وبتزويد كل واحدة منها بأربعة أطباء يكونون تابعين مهنيا لطبيب الأمير الخاص الذي كان من أمهر علماء الطب في ذلك الحين ...

وفي الميدان العسكري، أمر عبد القادر ببناء عدد كبير من الحصون التي يمكن أن يلجأ إليها عند الحاجة، وأشهر تلك الحصون (تأكدمت) الذي اتخذه مقرا لإقامته، فانتقل إليه بأهله وأهل حاشيته وأنشأ فيه معملا كبيرا لصناعة الأسلحة والبارود وغير ذلك من معدات الحرب، كما عمل على توفير جميع الشروط اللازمة للتجنيد ولتدريب الجيش النظامي الذي بلغ عدده خمسة عشرة ألفا ما بين راكب وراجل.[1]

[1] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 46.

ثالثا: نقض المعاهدة والاستسلام

1- **نقض المعاهدة:** كان حاكم الجزائر المارشال فالي يطمح إلى تخليد اسمه، وكان يعتقد أن الحظ ابتسم له عندما سقطت على يده مدينة الجسور المعلقة، لذلك راح يخطط لتعديل معاهدة التافنة خاصة وأنها أهملت التنصيص على إقليم قسنطينة ...وحتى يجد مبررا لحرب، فصاغ المارشال تعديلات تخص ضبط الحدود الشرقية في ملحق عرضه على الأمير عبد القادر، الذي لم يكتف برفضه، بل اعتبره انتهاكا للمعاهدة وتعديا على الشرف الفرنسي، وأرسل وزير خارجيته السيد مولود بن عراش إلى باريس لمقابلة لويس فليب وإخباره بما أقدم عليه فالى، لكن هذا الأخير رفض التطرق إلى معاهدة التافنة وقال بأن المذاكرة في شأنها ينبغي أن تكون مع المارشال فالي حاكم الجزائر.[1]

ومهما يكن من أمر، فان سكوت باريس قد أكد للأمير أن اللعبة قد تمت، وأن السلطات الفرنسية بأجمعها متفقة على نكث العهد بعد إنجاز المرحلة الأولى من المخطط الاستعماري والمتمثلة في احتلال قسنطينة، لذلك رجع إلى تأكدمت يحضر نفسه لاستئناف القتال كما أرسل لسائر خلفائه يدعوهم إلى التشاور مع القادة والأعيان في الاستعداد لمواجهة العدو...أما فالي فإنه عندما أحس أن عبد القادر يستعد لاستئناف القتال، سارع إلى إخبار دولته بما يجرى في مقاطعات الجزائر المستقلة وفي نفس الوقت أرسل إلى مليانة صهره الضابط دوصال، يعرض على الأمير من جديد أن يصادق على الملحق الذي أشرنا إليه أعلاه .[2]

وأمام هذا الإلحاح من الحاكم العام قرّر عبد القادر عقد مجلس الشورى للتشاور في الأمر، ويقول صاحب التحفة بأن المجتمعين رفضوا الاستجابة للمطالب الفرنسية، عندئذ تيقن فالي بأن الأمير لا يمكن أن يلين أو يستجيب لطلبه بشأن التوقيع على الملحق، فأخبر حكومته بما انتهت إليه مقترحاته الخاصة بتعديل معاهدة التافنة، وأوحى لها بضرورة الأمر بإعلان الحرب ... ولقد جاءت الإشارة الخضراء من باريس مدعمة بإمدادات عسكرية هائلة يقودها دوق أورليان، أحد أبناء ملك فرنسا آنذاك .[3]

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 134.

[2] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 235،

[3] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص141.

ولما وصل الدوق خرج فالي في معيّته على رأس جيش كبير فاعتدى على الحدود الفاصلة بين منطقتي نفوذ الطرفين ... وكان ذلك الاعتداء ناقضا للمعاهدة، تعمده المارشال لاستفزاز عبد القادر الذي انتقل إلى مدينة المدية بمجرد أن أتاه النبأ وكتب إلى الحاكم العام يحتج ويلقي عليه مسؤولية استئناف القتال الذي طالما عمل الأمير على تجنبه .

ولم تلتحم المعارك إلا في مستهل شهر أفريل سنة 1840 ... واستطاعت القوات الفرنسية أن تحتل مدينتي المدية ومليانة بعد أن دفعت ثمنا باهضا في الأرواح والعتاد وفقدت عددا كبيرا من ضباطها السامين من بينهم نجل الملك دوق أورليان.[1]

كل ذلك أثار سخط معظم الضباط الذين بادروا إلى التمرد وإلى مراسلة حكومتهم مباشرة يحيطونها علما بالكوارث التي تسبب فيها فالي نتيجة عجزه في مجال القيادة العسكرية، ويطالبون بمحاسبته وتنحيته في أقرب الآجال .

ولم يطل الانتظار، إذ سرعان ما قرر المارشال سولت(بعد تعيينه رئيسا للوزراء الفرنسي في 30ديسمبر سنة 1840، والذي كان يشغل وزير الحربية) استدعاء الحاكم العام فالي، واستبداله بالجنرال بيجو في شهر فيفري 1841، وقد جاء بيجو بقوات ضخمة تقارب المائة وعشرين ألف جندي ولديه التأييد وكل الصلاحيات من حكومته.[2]

2- نهاية المقاومة والاستسلام:

يرى بيجو أن ما يمكن أن تدره أراضي الجزائر على فرنسا، أفيد وأبقى من جميع الانتصارات العسكرية، لأجل ذلك فإنه بمجرد أن وصل الجزائر بتاريخ 23 فيفري سنة 1841، وجَّهَ بيانا للمستوطنين يدعوهم إلى تخصيب الأرياف وتوجيه صناعات ورؤوس أموال المدن في تشييد القرى.

كما جاء عازما على تنفيذ مخطط للقضاء على دولة الأمير؛ وتذكر المصادر التاريخية كما في كتاب "الكفاح المسلح في عهد الأمير" للزبيري، أن ذلك المخطط يشتمل على ثلاث نقاط واضحة هي :

- إتمام احتلال الساحل الجزائري، وتدعيم مراكزه الرئيسية وتأمينها لتكون منطلقا ثابتا للقيام

[1] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص249.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص48.

بحملات عسكرية على قوات الجيش الجزائري .

– العمل على احتلال أهم المراكز التي تضمن لفرنسا سيطرتها على منطقة التل الجزائري، بما في ذلك المدن الآهلة في وسط البلاد والتي هي في أغلب الأحيان عواصم للمقاطعات الجزائرية المستقلة .

– احتلال مراكز متقدمة للتمكن من مراقبة الجنوب الذي كان بيجو يعتقد أن الأمير سيلجأ إليه عندما يزحزح من مدنه وحصونه المجاورة لها .

كما وجّه بيانا إلى جنود جيشه لاسترجاع الثقة بالنفس ومن جملة ما تضمنه البيان: "إنكم كثيرا ما هزمتم العرب، وستنتصرون عليهم في المستقبل ... إنني مهتم برعاية قواكم وصحتكم ... وعليه يجب أن تثقوا بي كما تثق بكم فرنسا وجنرالكم".[1]

وحينما علم الأمير عبد القادر بكل هذه الاستعدادات التي يقوم بها ذلك الذي وقع معه على معاهدة التافنة، أرسل له كتابا يكاد يكون فريدا من نوعه في التاريخ، ومما جاء فيه :

" أما بعد، فقد بلغني أنكم جئتم من فرنسا إلى الجزائر لقتالنا بما ينوف عن ثمانين ألف جندي، زيادة على عساكركم السابقة فيها ... ومع الفرق الذي بيني وبينكم، فإنني أعرض عليكم أمورا فاختاروا واحدة منها وهى :

– إما أن تعطوني ما أحتاجه من أدوات الحرب بالشراء ثم أنظم عسكرا يكون نصف عسكركم الذي تحاربوننى به وحينئذ نتحارب .

– وإما أن تبقوا في مواضعكم التي تغلبتم عليها ، وأبقى أنا في بلادي التي تحت حكمي، ثم لا يقرب أحدنا من الآخر مدة اثنتي عشرة سنة..

– ومنها أن يخرج المارشال للمبارزة ويخرج له واحد من خلفائي ، فإن غلب صاحبكم فلا أنازعكم في طريقكم من الجزائر إلى قسنطينة .

– ومنها أن ابن الملك يبارزني فإن غلبته فإنكم ترجعون بعساكركم إلى بلادكم وتتركون سائر المدن التي في يدكم وإن غلبني فإنكم تستريحون مني ، ويبقى لكم الوطن من غير منازع".[2]

لم يستجب بيجو لمطالب عبد القادر، وتطبيقا للبرنامج الذي جاء به، زحف الجيش

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 151

[2] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 250 وما بعدها.

الفرنسي إلى عاصمة التيطرى يوم 30 مارس سنة 1841، أما ما يسمى بحملة مليانة، فإنها انطلقت من مدينة البليدة يوم 26 أفريل من نفس السنة، وشارك في قيادتها ولدا ملك فرنسا: دوق أومال ودوق نمور[1] ... كما خرج بيجو من الجزائر إلى مستغانم وكان وصوله إليها يوم 18 ماي من نفس السنة، ثم واصل السير إلى تأكدمت التي بلغها بعد أسبوع فوجد أن الأمير قد أخلاها واستقبلته خاوية على عروشها، ثم توجه إلى مدينة معسكر قبل أن يعود إلى مستغانم بتاريخ 3 جوان سنة 1841 ...[2]

لقد كان في اعتقاد بيجو أن الأمير سيلقاه في معارك كلاسيكية أمام العاصمتين ولكن عبد القادر الذي كان يعرف بأن إمكانياته في ذلك الحين لا تسمح له بالتصدي لنيران المدفعية الفرنسية ، فإنه كان يكتفي بإخلاء المدن بعد خزن المؤن وطمر الحبوب بمختلف أنواعها .

كما أمر خلفاءه بإتباع حرب العصابات التي تقتضى تنظيم فرق خفيفة من المتطوعين ، تهجم بسرعة على مراكز تختارها ثم تنسحب بنفس السرعة وتغيّر اتجاهها كي يصعب على العدو ملاحقتها والإجهاز عليها،كما تعمل على قطع طرق التموين أمام القوافل الفرنسية،

ولقد تفطن بيجو إلى هذه الخطة فقرر الخروج من جديد في حملات عسكرية واسعة النطاق وأوصى بدلا من إتلاف الغلال والمحاصيل التي يتم العثور عليها، بأن تحصد وتجنى وتستعمل لتغذية الجيش وبهذه الطريقة أصبحت القوات الفرنسية تموّن نفسها في المكان الذي توجد فيه. [3]

كما قام بيجو بعمل سياسي ذي بال، يتمثل في تكليف السيد ليون روش (كاتب الأمير السابق) بحمل بعض فقهاء الجزائر على إصدار فتوى ترخص الاستسلام للكفار ثم عرضت على علماء مصر والحجاز فصادقوا عليها، وعاد بها روش سنة 1842 ؛ وأهم ما ورد فيها: "أن أي شعب مسلم يغزو الكفر أراضيه فيقاوم ويفقد كل حظ في الحصول على الانتصار،

---

[1] دوق "أومال" هو رابع أبناء لويس فيليب، ولد سنة 1822 وتوفي بصقلية سنة 1897 ، وعين سنة 1847 واليا على ممتلكات فرنسا في إفريقيا... أما الدوق نمور فهو ثالث أبناء لويس فيليب، عاش من سنة 1814 إلى سنة 1896، انتخبه الكونجرس البلجيكي ملكا سنة 1834 وظل بها يقود الجيوش إلى غاية سنة 1842 وهي السنة التي مات فيها أخوه الأكبر دوق أورليان (ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 154)

[2] نفسه، ص 154 ومابعدها.

[3] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير، مرجع سابق، ص249.

يستطيع أن يقبل العيش تحت سيطرتهم، ويكون الخضوع مشروطا باحترام العدو للحرية والدين والشرف والنساء خاصة" وعزّز بيجو هذه الفتوى بصنع ختم نقش عليه باللغة العربية "إن الأرض لله يورثها من شاء من عباده" وصار كلما كتب إلى قبيلة استعمله وأرفق الرسالة بنسخة من الفتوى.[1]

ومن جهة أخرى وبعد أن وضعت قوات الغزو الفرنسية يدها على كافة المدن الهامة في الغرب الجزائري وتيقن الأمير عبد القادر من استحالة الاحتفاظ بعاصمة قارة ثابتة، لجأ إلى بناء عاصمة متنقلة يجمع فيها أنصاره، ويقيم بها ورشات خفيفة لصناعة الذخيرة الحربية وكل ما تحتاج إليه جيوشه من أقمشة ومتاع، وأطلق عليها اسم "الزمالة" [2] ، أما عدد سكانها فإن المؤرخين قد اختلفوا حوله؛ فالأمير محمد يقدره بمائتي ألف نفس، بينما يذكر السيد تشرشل أنه كان يزيد عن عشرين ألف نسمة. [3]

وعن وصف هذه العاصمة الفريدة من نوعها في التاريخ يقول تشرشل أنها عندما تكون في الصحراء تضيع الخيام الكثير في الأفق البعيدة، أما عندما تكون في التل فإنها تملأ السهل وتغطى منحدرات الجبل. [4]

ويصف الأمير محمد في التحفة هذه المدينة المتنقلة : " ... فقد كانت الزمالة على أتم ما يكون من الانتظام والالتئام المدني، وكان لها منظرا جميلا ترى منازلها[5] من بعيد، فمن اطلع على هذه المدينة وترتيبها عرف ما كان عليه الأمير من الآراء المصيبة، والتدابير العجيبة التي انفرد بها في وقته".[6]

ولقد أصبحت هذه المدينة المتنقلة هدفا رئيسيا يجري وراءه بيجو وأعوانه، ذلك لتأكدهم من أن سقوط الزمالة وحده هو الذي يقضى على سمعة الأمير ودولته، وابتسم الحظ ذات يوم للدوق أومال ابن الملك لويس فليب، إذ نقل إليه أحد الخونة المرتدين وهو المسمى عمر

[1] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 384 وما بعدها.

[2] الزمالة، جمعها "زمول" مجموعة من القبائل المتنقلة. (ارجع إلى: شارل هنرى تشرشل، حياة الأمير، مرجع سابق، ص 184).

[3] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 154 وما بعدها.

[4] شارل هنرى تشرشل، حياة الأمير، المرجع السابق، ص 256 .

[5] يقصد خيامها. (انظر محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص 184).

[6] الأمير محمد، تحفة الزائر، المرجع السابق، ص 279.

بن فراح، أن الزمالة معسكرة عند نبع طاقين وأن الأمير عبد القادر وجيوشه على مقربة من عاصمته القديمة تأكدمت، ودون أن يضيع لحظة واحدة وبمساعدة العميل الأغا مصطفى بن إسماعيل وجنوده جَهّز فرسانه وهجم في اليوم 16 من شهر ماي 1843 هجمة خاطفة فاجأ بها أهل المدينة وحراسها وأحرز النصر المبين لنفسه، كما ورد في كتاب هنري تشرشل.[1]

ولقد كان لسقوط العاصمة المتنقلة أثر بالغ في نفس صاحبها وكذلك قادة الجيش ورجالاته الذين فقدوا معها الكثير من نسائهم وأطفالهم وسائر أقاربهم الذين ماتوا أو أسروا ... وفي المقابل فإن معظم القبائل الموالية قد أصابها الوهن واليأس، فراحت تتساقط كالثمار اليانعة في سلال المستعمر الذي تلقى استسلامها بابتهاج، وكان بنو عامر في جملة من استسلم للعدو، وقد تألم عبد القادر لفعلتهم تلك لأنهم أقوى القبائل وأشجعها ومن أكثر أنصاره استماتة في القتال وإخلاصا له عبر كامل أنحاء البلاد.[2]

كل هذه المحن لم تثن الأمير عن مواصلة السير في طريق اختاره لنفسه، لأجل ذلك بادر إلى جمع كل ما يملك من قوة نظامية واستطاع أن يهزم لاموريسيار، ويشتت قواته ويتمكن من الخائن مصطفى أغا بن إسماعيل، وكان الأمير قد أعاد تكوين عاصمته المتنقلة التي صارت تسمى "الدائرة" ولكن سكانها في هذه المرة لم يتجاوزوا ألف نسمة.[3]

وكأن تلك النكبات هيأت أمام خبر استشهاد الخليفة ابن علال الذي كان أكثر الخلفاء وفاء وإخلاصا لعبد القادر وكان ذلك في 11 من شهر نوفمبر سنة 1843، ففي لحظة صارت قوات الخليفة محصورة من جميع الجهات دارت معركة حامية رغم عدم التكافؤ، قبل أن تنتهي بانهزام الجزائريين الذين حاربوا محاربة الأبطال الأشاوس، مفضلين الاستشهاد عن عار قبول الاحتلال.[4] جاء في كتاب التحفة عن تلك المعركة :" ...وفي اليوم الأخير منها استشهد الخليفة، وتمكن العدو من الاستيلاء على المعسكر وقتل من المسلمين في ذلك اليوم أربع مائة نفس، وأسر ثلاثمائة وستون"[5] .

---

[1] شارل هنرى تشرشل، حياة الأمير، مرجع سابق، ص 175.

[2] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 169.

[3] نفسه، ص 170.

[4] نفسه، ص 172.

[5] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 283.

وأراد بيجو أن يستغل موت الخليفة ابن علال إلى أقصى درجة فأمر بقطع رأسه وعرضه مع سائر أمتعته ابتداء من سيفه وسرجه وملابسه... على القبائل التي مازالت لم تستسلم بعد قصد إرهابها وإدخال اليأس إلى نفوسها.[1]

أما الأمير عبد القادر فإن خبر الخليفة والتمثيل برأسه قد كبر لديه، ومع ذلك فإنه لم يفقد عزمه وحزمه ورأى أن كل ما يمكن أن يقوم به كوفاء لروح الفقيد الغالي هو الاستمرار في القتال رغم الشدائد والنوائب، لذلك قرر أن يجتاز الحدود فيبحث له ومن بقي من جنوده وسكان الدائرة، في بلاد المغرب الأقصى عن مكان يأوي إليه بعيدا عن غارات العدو، ولقد انتهى إلى هذا القرار الخطير، كما ذكر مؤرخنا لأسباب أهمها ما يلي:

– تأكده من أن كل القبائل قد استسلمت للقدر المحتوم ، وفوضت أمرها لبيجو وجنرالاته، لأجل ذلك فضل الأمير إعفاء جنوده من الاستمرار في بذل مجهود جبار لحماية الدائرة التي صارت ملفوظة من الجميع.

– اعتقاده بأن وجوده بأراضي المغرب الأقصى سيحمس الأشقاء، ويكون لهم وللسلطان عبد الرحمن دافعا قويا للتعاطف مع المقاومة الجزائرية ، ولتزويده ببعض ما يحتاج إليه من سلاح وذخيرة ومقاتلين.

– محاولة شغل الجيوش الفرنسية لتخفيف الضغط على خلفائه في داخل الوطن ، ذلك لكونه متأكدا من أن بيجو سيسخّر معظم قواته لملاحقته ومحاولة قتله أو أسره.

– إيجاد مكان آمن لسكان (الدائرة)[2]، فيستريحون من العيش على الأعصاب بسبب المطاردة التي يتعرضون لها في جميع الأوقات ومن جميع الجهات.

– الأمل في التمكن من تنظيم وتسليح جيش على الحدود ، مكونا من الجزائريين والمغاربة يعطى نفسا جديدا للمقاومة المسلحة التي تجتاز مرحلة صعبة.

– الرغبة في ربط علاقات متينة مع سلطان المغرب الأقصى من جهة، والسلطات الانجليزية، من جهة أخرى قصد الحصول على الأسلحة الحديثة والذخيرة الحربية...[3]

---

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص 174.

[2] جَمْعُهَا "دوائر"، والمقصود بها هنا مجموعة من البيوت ذات النسب المشترك. (ارجع إلى: شارل هنرى تشرشل، حياة الأمير، مرجع سابق، ص 256).

[3] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، المرجع السابق، ص 176.

أجاب سلطان المغرب على كتابه الذي يدعوه إلى تبني مشروعه للجهاد ومساعدته بما يلي: "إنا نتمنى الحضور بأنفسنا في غمار المسلمين ومباشرة القتال بأيدينا بين صفوف المجاهدين... ولكن ما نحن فيه من قمع العتاة وكف البغاة ... جهاد بل أفضل من جهاد النصارى ، حسب ما نص على ذلك أمامنا مالك – رحمه الله ، ولو كمل قتالهم وانتظم على الاستقامة حالهم لسِرنا وإياهم لنصرة الدين وقمع الكفرة المعتدين ، ونية المرء خير من عمله والسلام"[1].

ولما يئس الأمير من إمكانية جر السلطات المغربية إلى ميدان القتال، جمع ما بقي معه من جنود؛ فترك جزء منهم لحماية (الدائرة) ودخل مع الباقي إلى أراضي الوطن حيث كانت تُرَوّج أخبار استشهاده وبدأ القنوط يدب حتى إلى نفوس أصدق خلفائه وأكثرهم إخلاصا، ولقد كان أول عمل قام به بعد عودته من المغرب، هو تنظيم هجومات خاطفة لكنها ذات فعالية ضد جميع القبائل المرتدة، وكان لتلك التحركات الخفيفة تأثيرا كبيرا على بعض القبائل التي كانت أعلنت استسلامها للجيش الفرنسي، ولما رأت كيف أن الأمير لم يضعف ولم يهن رغم النكبات والضربات المتتالية خجلت من نفسها ، والتحقت (بالدائرة) في الأراضي المغربية محدثة بذلك نفسا جديدا للمقاومة المسلحة.

ولم يستطع السلطان عبد الرحمن في هذه المرة تجاهل مشاعر رعاياه، خاصة وأن معظم قبائل الريف المغربية لم تعد تخف إعجابها بناصر الدين كقائد وكمقاتل، ورغبتها في الانضمام لصفوفه ... ففي مستهل شهر جوان حلت بوجدة جيوش السلطان بقيادة السيد الكناوي وفور وصولها بدأت تناوش مع قوات الجنرال لاموريسيار المرابطة بلاله مغنية[2] ، وجّه بيجو إلى الكناوي إنذاراً شديد اللهجة قبل الزحف على وجدة وقد جاء في ذلك الإنذار ما يلي: " إننا نريد الاحتفاظ بالحدود التي كانت للأتراك ولعبد القادر من بعدهم إننا لا نريد شيئا مما هو لكم، ولكننا نود ألا تتمادوا في استقبال عبد القادر، فتجندوه وتنعشونه بعدما أوشك على الهلاك ثم تطلقونه ضدنا من جديد، إن عملا كهذا ليس هو الصداقة الحقة، ولكنه الحرب وإنكم لتقومون بها ضدنا على هذا النحو منذ سنتين... "

[1] الأمير محمد، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص 235.

[2] محمد العربي الزبيري الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 180 وما بعدها.

لم يكن الكناوي مخَوّلا للرد على مثل ذلك الكتاب، وعليه فإنه تماطل في الجواب وكان ذلك بالنسبة لبيجو، كافيا ليدفع جيوشه نحو وجدة التي دخلها دون عناء يوم 19 جوان بينما كان حاكمها قد انسحب منها إلى تازة، وعلى الرغم من تلك السهولة التي دخل بها الفرنسيون إلى وجدة فإن المارشال قد أمر بأخلائها بعد يوم واحد من احتلالها.[1]

وحسب المؤرخ الزبيري، فقد كانت هناك عدة دوافع جعلت المارشال يقلع عن وجدة ولا يطيل المكوث بها، وأهمها:

– أن الحاكم العام خشي إن هو توغل في الأراضي المغربية وأقام بها، يكون مضطرا لاصطحاب الجزء الأهم من جيوشه، مما يسمح للأمير عبد القادر باغتنام الفرصة لنجدة خلفائه في سائر المقاطعات وإعادة تنظيم جيشه.

– أن الحاكم العام كان يعرف أن بقاءه في وجدة لن تنظر إليه انكلترا بعين الرضا، وأنها قد تتخذ من ذلك سببا لإعلان حرب جديدة.

– أن الماريشال لم يستأذن للدخول إلى وجدة ولكنه قرر بمفرده تنظيم حملته التأديبية، ولقد كان من الممكن إن هو بقى في الأراضي المغربية أن يتعرض لسخط وزارة الحرب ولغضب الملك خاصة.[2]

ولهذا تقدم بيجو إلى حكومة السلطات المغربية يطلب منها أمرين:

– إبعاد الأمير من بلادها.

– رسم الحدود الجزائرية المراكشية.

لقد كان لاحتلال وجدة أثر كبير في نفوس أغلبية سكان المغرب... مما دفع السلطان عبد الرحمن بتجنيد جيش عرمرم، أسند قيادته إلى ولي عهده الأمير محمد، ووجهه إلى الحدود الجزائرية المغربية، وعلم هذا الأخير بتلك التحركات، فأمر بالتأهب للقتال الذي نشب صبيحة يوم 14 من شهر أوت سنة 1844 عند وادي السلي، وانتهى عند الظهر بهزيمة الجيش المغربي هزيمة نكراء. [3]

[1] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص51.

[2] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 188،189.

[3] نفسه، ص 191.

ولئن كان ما جرى في ذلك اليوم قد عاد على بيجو بلقب الدوقية، فإن الهزيمة قد أسكتت ملك المغرب نهائيا وحتمت عليه التماس الصلح الذي مُنح إياه مقابل التوقيع على اتفاقية "طنجة" في 12 من شهر سبتمبر 1844، التي تضمنت شروطا أملاها الحاكم العام وفحواها :

- أن تنسحب الجيوش المغربية عن وجدة المغربية.
- ويخرج الأمير عبد القادر من البلاد.
- وأن يُحرم من كل مساعدة.
- وأن يعاد النظر في ضبط الحدود بين الجزائر والمغرب.[1]

❖ استسلام الأمير ونهاية المقاومة:

كانت سنة 1847 تاريخا حاسما بالنسبة لكل من المارشال بيجو والأمير عبد القادر؛ أما الأول فإن انتصاراته العسكرية التي حققها سواء في المغرب أو في الجزائر والتي جلبت له كثيرا من الشرف والمجد وتثبيت السيطرة الفرنسية ودعم الاستعمار الاستيطاني بالجزائر من خلال الجالية الأوربية التي بلغ عددها حوالي تسعين ألف نسمة في مستهل سنة 1847، كل هذه الانجازات لم تشفع له بل تنكر لها وحاربها كل من بيدهم الحل والربط في وزارة الحربية وكذلك رجال الصحافة وكثير من الضباط السامين ... وتجمّع أولئك المعارضون حول الجنرال لاموريسيار الذي وجدوا فيه مسؤولا طموحا ومقتدرا ويميل إلى النزول عند رغبة المدنيين... إلى أن أحس بيجو نفسه وحيدا، فقدم استقالته في يوم 21 مارس سنة 1847.

وأما الأمير عبد القادر فإن تلك السنة قد أدركته وليس معه سوى (الدائرة) المكونة من حوالي خمسة آلاف نسمة معظمهم من النساء والأطفال والعجزة... وقد تنكرت له أكثر القبائل تحمسا للجهاد، ولم يعد بإمكانه أن يقودها إلى النصر... [2]

ومن جهة أخرى أرسل السلطان عبد الرحمن إلى الأمير يدعوه إلى مغادرة الأراضي المغربية ولما رأى أن طلبه لم ينفذ، جهز جيشا قويا الذي وصل في اليوم العاشر من شهر ديسمبر 1847 إلى وادي ملوية مكونا من خمسين ألف مقاتل يقوده ولدا عبد الرحمن نفسه.[3]

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص52.

[2] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق، ص 192 ومابعدها.

[3] المقصود بهما محمد وسليمان. (ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، نفسه، ص 198،199).

وأمام هذا الوضع تأكد عبد القادر من استحالة الاستمرار في المقاومة وأن نهايته قد اقتربت، لذلك جمع ما تبقى لـه من رجال وعرض عليهم الموقف للشورى، وقد انتهت المداولات بالإجماع على الاستسلام للقوات الفرنسية وذلك لأسباب أوردها المؤرخ الزبيري في "الكفاح المسلح في عهد الأمير" منها:

– أن القبائل كلها تقريبا، قد انضمت واستسلمت طواعية إلى الجيش الفرنسي.

– أن عبد القادر لم يعد قادرا على التعبئة والتجنيد بعد أن فقد القدرة على امتلاك مصانع الأسلحة والذخيرة.

– أن السلطات المغربية قررت تعبئة كل ما لديها من قوة لملاحقة اللاجئين الجزائريين عامة وأفراد الدائرة خاصة وذلك نزولا عند رغبة الحكومة الفرنسية .

– أن الأمير الذي يئس من إمكانية استئناف المعركة بكيفية جديدة، كان يعتقد أن فرنسا ستحترم وعدها وتأمر بنقله ومن معه مباشرة إلى عكا أو الإسكندرية وفقا لمطلبه.

ومما لاشك فيه أن اختيار المكانين المذكورين بدلا من البقاع المقدسة كان مقصودا، حتى يتمكن من الاتصال بسهولة بالدولة العثمانية لعلها تساعده وليكون قريبا نسبيا من الجزائر فينقل إليها بسرعة ما قد يحصل عليه... ويدلنا على معقولية ما نعتقد حسب الزبيري؛ إقدام الأمير فيما بعد ورغم طول المدة على محاولة تكوين جيش خاص اختار أفراده تدريجيا من بين المغتربين الجزائريين، وقد بلغ عدد أجناده حوالي ثلاثة آلاف جندي عندما وقعت أحداث الشام 1860. [1]

وهكذا تم الاستسلام بالمكان المسمى سيدي إبراهيم في اليوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر سنة 1847، وبعد ذلك بيومين أبحرت السفينة "أسمودس" الفرنسية وعلى متنها الأمير وكثير من قواده والأتباع الذين قرروا البقاء إلى جانبه، ولكن السفينة بدلا من أن تأخذ طريق المشرق حسبما وقع عليه الاتفاق، توجهت تدفعها ريح الخيانة والغدر إلى ميناء طولون حيث تبدأ مرحلة جديدة من حياة بطل الجزائر المجاهد الأكبر عبد القادر بن محي الدين.[2]

[1] محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، مرجع سابق ، ص200

[2] نفسه، ص 201.

الفصل الثالث

الثورات الشعبية المسلحة

أولا: ثورات منطقة الزيبان

1- ثورة حسان بن عزوز (1840-1841)

2- ثورة محمد الصغير بن أحمد بالحاج (1841)

3- ثورة الزعاطشة (1849)

4- ثورة الصادق بالحاج (1856-1859)

5- ثورة واحة العامري (1876)

ثانيا: ثورات الحضنة والأوراس

1- ثورة محمد بوخنتاش في الحضنة (1860)

2- ثورة الأوراس (1879)

ثالثا: ثورات الجنوب الوهراني

1 -ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1881)

2 -ثورة بوعمامة –المرحلة العسكرية-(1881-1883)

أولا: مقاومة الاحتلال الفرنسي بمنطقة الزيبان.

1- مقاومة حسان بن عزوز[1] (1840 - 1841):

جاء في كتاب مؤرخنا الزبيري الموسوم "مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي" مايلي: "بعد سقوط مدينة قسنطينة سنة 1837 وانسحاب الحاج أحمد باي نحو الجنوب (صحراء قسنطينة)، كانت فرنسا في أشد الحاجة إلى قبيلة عربية تعتمد عليها لمحاربة قوات الأمير عبد القادر التي أصبحت تسيطر بصفة فعالة على كل الجنوب... في هذا الوقت بعث بوعزيز بن قانة مساعد أحمد باي السابق رسلاً إلى الجنرال "غالبوا" يخبره بعزمه على الاستسلام، وفي 29 من شهر ديسمبر سنة 1838 وجه الجنرال إلى رؤسائه خطابا جاء فيه: لقد فرّ شيخ العرب القديم بوعزيز بن قانة، وقرر الحضور بنفسه إلى قسنطينة حيث كان لمقدمه صدى عظيم، ويبدو لي حسب الظاهر أنه أهم رجل في هذه المقاطعة... وهكذا تم تنصيب بوعزيز بن قانة العميل الفرنسي"شيخ العرب" في 18 من جانفي سنة 1839 تحت إشراف الجنرال غالبوا أثناء حفل كبير[2] ... وبعد الولاية بقليل طلب ابن قانة من الجنرال غالبوا أن يضع تحت تصرفه جيوشا فرنسية ليبدأ إخضاعه للقبائل العربية بالجنوب للإدارة الفرنسية، وفي سنة 1840 كانت معركة (وادي لسلسو) بمنطقة الزيبان بين قوات حسان بن عزوز (خليفة الأمير عبد القادر بالزيبان) والقوات الفرنسية تحت قيادة ابن قانة، ورغم البطولات التي أبداها جنود حسان بن عزوز فإن مدافع فرنسا استطاعت بفضل العملاء أن تلحق بهم خسائر فادحة وتشتيت صفوفهم، وبعد هذه الهزيمة التحق حسان بناحية المسيلة حيث كان يخيم الحاج مصطفى أخ الأمير عبد القادر وإلى جانبه فرحات بن سعيد

[1] حسان بن عزوز ينتمي إلى أسرة ابن عزوز الدينية في واحة البرج قرب بسكرة ، عمل خوجة (كاتب) لدى فرحات بن سعيد بن بوعكاز ، تقرب من الخليفة البركاني عامل الأمير فعينه شيخا على واحة الزعاطشة ، كُلف بخلافة الأمير عبد القادر سنة 1838 بعد سجن فرحات بن سعيد في تاكدمت، لم ينجح في مهمته (القضاء على بوعزيز بن قانة) فعزل وعوض بأحمد بالحاج في ربيع 1841، قبض عليه سكان المسيلة وسُلم إلى السلطات الفرنسية، نفي إلى جزيرة سان مارقوريت بفرنسا، في 1844 أطلق سراحه وفرضت عليه الإقامة الجبرية بمدينة عنابة حتى توفي سنة 1847.(ارجع إلى: شهرزاد شلبي، "ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية في منطقة الزيبان في القرن التاسع عشر"، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر تخصص تاريخ الأوراس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008- 2009، ص 93).

[2] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، ط2، دار الحكمة الجزائر، 2014، ص18،19.

بن بوعكاز، وعلى إثر النبأ قرر الحاج مصطفى إرسال فرحات بن سعيد ليعيد تنظيم الصحراء [1]... وقد تعرض حسان بن عزوز بعد عزله إلى هزيمة أمام قوات الجنرال "نقيري" في المسيلة فاعتصم بالمناطق الجبلية حولها ... لكن السكان قبضوا عليه في شهر جويلية 1841 وسلموه إلى الخليفة المقراني الذي سلمه بدوره إلى السلطات الفرنسية. [2]

ورغم اعتقاله في جويلية 1841م ونفيه ثم فرض الإقامة الجبرية عليه بمدينة عنابة حتى وفاته سنة 1847، إلا أن المقاومة الجزائرية بقيت مستمرة في الجنوب ولم تعرف منطقة الزيبان لحظة واحدة من الهدوء والسلام. [3]

2- مقاومة محمد الصغير بن أحمد بالحاج [4] (1841):

أعلن محمد الصغير بالحاج (بعد أن عيّنه الأمير عبد القادر في ولاية الزيبان في مكان حسان بن عزوز المعزول ربيع 1841) التمرد والثورة على القوات الفرنسية وعونهم بوعزيز بن قانة، وكانت البداية بعدم خروجه للاستقبال الذي أعدته قبائل الزيبان لبوعزيز بن قانة في قرية لوطاية عام 1843 وهذا ما أثار غضب وسخط ابن قانة و بعث عيونه إلى مختلف القبائل يخبرها بعزل محمد الصغير أحمد بالحاج ويأمرها بعدم الامتثال إلى كل ما يصدر عنه، وفي نفس الوقت بعث يطلب النجدة من القيادة الفرنسية.

فحاصر سيدي عقبة قصد إرغام محمد الصغير وأنصاره على الاستسلام لكن العدوان قوبل بالمقاومة وبدأت المعركة حامية بين الطرفين ودام القتال عدة أيام حاول فيها ابن قانة أن يدخل سيدي عقبة ولكنه لم يفلح، وأخيرا لجأ إلى سد مجرى الساقية التي تزود البلاد بالمياه اعتقادا منه أن هذا العمل الإجرامي سيحمل أبناء سيدي عقبة على الاستسلام للمحافظة على أرواحهم ونخيلهم.[5] ... لكن حدث أمر مفاجئ غَيَّر مجرى الأحداث وهو

[1] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص21،22 .

[2] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، مرجع سابق، ص222.

[3] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص24،25.

[4] محمد الصغير بن أحمد بالحاج الخليفة الثاني للأمير عبد القادر في ولاية الزيبان والصحراء الشرقية، بعد الحسن بن عزوز عام 1841 وهو من واحة سيدي عقبة يرتبط بصلة مصاهرة مع عائلة بن قانة. (ارجع إلى: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص230،231)

[5] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص28.

تخلّي أحمد بن شنوف أحد قواد الزاب الشرقي عن مؤازرة ابن قانة وانفصاله عنه ولجأ إلى جبل "أحمر خدو" وبدأ يحرّض السكان على الثورة وأرسل إلى محمد الصغير بالحاج ليخبره بأنه سيلتحق به ...[1]

وعلم شيخ العرب بهذا الاتحاد فخشي عاقبته وجمع كل ما لديه من قوة ليهجم مرة أخرى على سيدي عقبة قبل وصول جنود أحمد بن شنوف ولكن عاصفة شديدة أرغمت بن قانة على العدول عن رأيه وألزمته الرجوع إلى بسكرة وصل هذا الخبر إلى القائد محمد الصغير فلم يترك الفرصة تضيع وقصد فورا مدينة بسكرة وبينما كان ابن قانة يدخلها من الجهة الغربية احتل خليفة الأمير عبد القادر القصبة وألحق هزيمة شنعاء بأعدائه الذين لم يجدوا غير الفرار سبيلا للنجاة بأرواحهم، وهكذا سقطت مدينة بسكرة من جديد في أيدي قوات الأمير عبد القادر بن محي الدين .[2]

جهز القنصل دومال حملة كبيرة نحو الصحراء وذلك للقضاء على قوات الخليفة محمد الصغير بالحاج والحاج أحمد بن شنوف المعتصمة بجبال أولاد سلطان، انطلقت الحملة الفرنسية من قسنطينة في 7 فيفري 1844 بقيادة الكولونيل بوتافكو، وأول عمل قام به هو إنشاء مركز للتموين وقيادة العمليات في باتنة لقرب المسافة بينها وبين منطقة الزيبان وحلقة وصل بين التل والصحراء.[3]

وبينما كان الفرنسيون يعدون مخطط هجومات بلغ الخبر إلى محمد الصغير بن احمد بن الحاج فرأى من الجنون الصمود في وجه هذه الجيوش الغفيرة لذلك أمر جنوده بالاستعداد وقصد جبال الأوراس ليعد هناك الوسائل اللازمة لإخراج المحتلين ويبحث جنوده عن كيفية الدفاع عن عروس الصحراء.

وفي 4 مارس 1844 دخلت القوات الفرنسية مدينة بسكرة وتمت السيطرة عليها بمساعدة عائلة ابن قانة دون إطلاق رصاصة واحدة كما يقول دومال في تقريره...ولما علم

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، (1837-1934)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص42-43

[2] محمد العربي الزبيري مقاومة الجنوب، مرجع سابق، ص29.

[3] عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي : التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837 – 1939،ج1 ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 112.

القائد الأعلى للقوات الفرنسية بقسنطينة استعداد خليفة الأمير عبد القادر "محمد الصغير بن احمد بن الحاج" كلّف الكومندان ترامبلي بأن تهجم على قرية مشونش و تشتت جيوش المسلمين الذين كان عددهم يتراوح بين 2000 و 3000 مجاهد، وما إن وصلت قوات الاحتلال حتى قوبلت بوابل من الرصاص أرغمها على التراجع تاركة في ميدان المعركة مئات القتلى والجرحى .[1]

احتارت القيادة الفرنسية في أمرها وعز عليها أن تستسلم أمام هذه "الكمشة" الثائرة ... فأعطي الأمر إلى ابن قانة ليجند كل ما لديه من أتباع ووضع تحت تصرفه كميات هائلة من الأسلحة والذخائر وبعد أيام وصل المرتزقة إلى القرى التي يحتمي بها المجاهدون وبدأت المدافع تقذف قنابلها من بعيد فتدمر كل ما انتصب في طريقها ... وطوقت حصون المسلمين بالجيوش واشتعلت نيران المعركة، ما أجبر محمد الصغير بن احمد بن الحاج وقواته على الانسحاب والتشتت عبر الغابات.[2]

اعتقد الدوق دومال أنه تمكن من القضاء على المقاومة نهائيا وأن الصحراء أصبحت تابعة لهم بمجرد رجوعه إلى بسكرة تلقى أخبارا مفادها أن أولاد سلطان قد ثاروا وهاجموا المركز العسكري بباتنة ولهذا لابد من مغادرة بسكرة، تاركا القيادة العسكرية الى الكومندان "توما" ، بينما أُسندت الشؤون السياسية إلى شيخ العرب ابن قانة ...[3]

استغل الخليفة محمد الصغير المتواجد بجنوب الأوراس الوضع وقام بالتخطيط لاستعادة بسكرة والقضاء على الحامية العسكرية بها معتمدا على سكان منطقة الزاب الشرقي وناحية الأوراس الجنوبية الغربية.[4]

وبهذه الصفة ما كان شهر أفريل ينتهي حتى تمت جميع الإعدادات اللازمة لمحق قوات العدو استقبال الثوار في قصبة مدينة بسكرة ، ففي يوم 9 ماي 1844 كتب الدوق دومال إلى عميله ابن قانة يأمره بتجنيد عدد كبير من أحسن فرسان القبائل الموالية له وينضم بها إلى القوات الفرنسية ضد ثورة أولاد سلطان وأولاد بوعون، واستجاب العبد لسيده وفي أقل من

[1] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب، المرجع السابق، ص 35.

[2] نفسه، ص36.

[3] نفسه، ص37،38.

[4] عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، مرجع سابق، ص113.

أربع وعشرين ساعة نفذ الأمر وكان ابن قانة والمرتزقة معه في طريقهم إلى نجدة الجيش الفرنسي ضد إخوانهم.[1] ... اعتقدت السلطات الفرنسية أن هذه الإجراءات الجديدة قد قضت على المقاومة إلا أن روح الثورة ما تزال قائمة ... فقد قاد خليفة الأمير بالزيبان هجوما في 30 جوان 1844 على واحة الدروع الكائنة شمالي شرق سيدي عقبة وقضى على الحامية الفرنسية بها، بعدها انتقل إلى خنقة سيدي ناجي وشن هجوما يوم 20 جويلية وسحق القوات الموالية، وبقي يكافح تحت لواء الأمير إلى أن استسلم هذا الأخير عام 1847 فانتقل إلى نفطة التونسية بالجريد واستقر بها وعندما نشبت أحداث واحة الزعاطشة أواخر عام 1849 قدم لنجدة الشيخ بوزيان وسكان الواحة ثم عاد إلى تونس وعندما ظهر الشريف محمد بن عبد الله بحركته في مطلع الخمسينات اشترك معه في الهجوم على تقرت والاستيلاء عليها عام 1852، وعاد بعد ذلك إلى توزر وتوفي بها عام 1856حسب رواية فيرو، أما المرزوقي فذكر أنه هاجر إلى المدينة المنورة وتوفي بها. [2]

3 – ثورة الزعاطشة[3] (1849):

استغل الشيخ بوزيان[4] الذي هذه الظروف والأسباب لإعلان الثورة :

– ثورة 1848 الفرنسية التي أطاحت بالملك "لويس فليب" بالجمهورية الثانية.

– اندلاع عدد من الانتفاضات المحلية خلال عام 1848 و أوائل 1849 كانتفاضات جهات القل والبابور وريغة والمدية وسور الغزلان وأولاد نايل .[5]

– ولأنه من المرابطين الرحمانيين فإن الوازع الديني كان له دور، وحضور في تعبئة المجاهدين للثورة وتقوية عزيمتهم ...

[1] محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب، مرجع سابق، ص 40،41.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص231.

[3] الزعاطشة هي إحدى واحات الزاب الظهراوي تقع على بُعد 35 كلم جنوب غرب مدينة بسكرة، و2.5 كلم إلى الشرق من طولقة (ارجع إلى: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، ص125).

[4] هو محمد بوزيان كان يشغل منصب نائب الأمير عبد القادر بمنطقة الزاب الظهراوي، قائد انتفاضة الزعاطشة بمنطقة الزيبان، وهو مقدم الطريقة الدرقاوية التي ناصرت الأمير عبد القادر، كان صاحب سمعة ونفوذ، وكان متقدما في السن عند استشهاده سنة 1849.(ارجع إلى: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص332،333).

[5] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص126.

– ورغم وضوح الدوافع الدينية الوطنية للثورة فإن بعض الكُتّاب أصروا على العامل الاقتصادي فقالوا أن الفرنسيين رفعوا ابتداء من مارس 1949 الضرائب على النخيل من 0.25 إلى 0.40 فرنك كما ألغوا جميع الإعفاءات السابقة .[1]

قام بوزيان بنشاط حثيث للتهيئة للثورة، فاستدعى رؤساء القبائل والأعراش التي توافدت عليه من كل جهة لتدارس الأوضاع وإعداد العدة لمواجهة الفرنسيين، فجمع الأموال واشترى الأسلحة وخزن المؤن، وقد لاحظت السلطات الفرنسية المحلية هذا النشاط المتزايد لبوزيان واصطدمت بالسكان الرافضين لدفع الضرائب.[2]

ورد نبأ ثورة بوزيان إلى "دوبوسكي" رئيس المكتب العربي لبسكرة فاتجه إلى الزعاطشة، وطلب من السكان أن يسلموا له بوزيان زعيم المشوشين، فرفضوا كعادتهم و تأزم الوضع أكثر بقيام سكان واحة طولقة، وفرفار، وبوشقرون بحمل السلاح للدفاع عن بوزيان ورفاقه وحركته الذين زاد ذلك من عزمهم وتصميمهم على الكفاح والمقاومة.[3]

وبعد رجوع هذا الضابط – دوبوسكى – إلى بسكرة قام الكابتان لارجيني باستدعاء شيخ العرب ابن قانة وأفراد عائلته وأعطاهم أمرا بأن يجندوا قبائلهم ويتوجهوا إلى الواحات لقمع الثوار، واغتنم العملاء المرتزقة هذه الفرصة فراحوا ينشرون الدمار والخراب انتقاما من تلك الأعراش التي أبت أن تتبعهم في بيع شرفهم وكرامتهم إلى الغزاة الإفرنج ... وما زاد هذا التسلط إلا حماسًا ونشاطا فعززت صفوفهم فتمكنوا بذلك من أن يلحقوا بالأعداء و العملاء خسائر فادحة ويرغمهم على التقهقر إلى أن أدخلوهم بسكرة يجرون ذيل الهزيمة [4]

بينما نجح بوزيان في توسيع دعايته وحركته إلى الحضنة والزاب الغربي وخاصة ليشانة واستجاب أولاد سحنون في بريكة لندائه وحملوا السلاح ... وأولاد سلطان، كذلك انتشرت الثورة إلى جهات الأوراس بفضل نشاط بوزيان ورسائله ... فبرز الشيخ حكمت بن الجودي شيخ أولاد بوزيان ... وامتدت الحركة إلى أولاد عيدي ... وظهر المرابط الشيخ عبد الحفيظ مقدم إخوان بن عبد الرحمان في خنقة سيدي ناجي واستمال إليه أولاد داود وأولاد عيدي

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص126.

[2] عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1954)، مرجع سابق، ص 47.

[3] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص91.

[4] محمد العربي الزبيري، ثورات الجنوب، مرجع سابق، ص55،56.

وبني سليمان وأهل نسيرة ولذلك عمت الثورة المناطق المحيطة بواحة الزعاطشة كلها.[1]

وبوصول القوات الفرنسية إلى الزعاطشة يوم 16 جويلية 1849 بقيادة العقيد كاربوسيا وشدد الحصار لخنق الثورة ، فوجئ العقيد بما لم يكن ينتظره، إذ كانت الضربة قاسية بل قاتلة وكان الرصاص ينهمر عليهم من كل ناحية حتى كأنها الأمطار التي تنبؤ بالطوفان ... وتقاتل الجيش الفرنسي والمرتزقة بشجاعة نادرة المثيل لكن ضد من؟ ضد عدو تسقط الأسوار الضخمة تحت ضرباته ، أو كما قال كربوسيا نفسه[2]، واضطر هذا الأخير بعد أن تأكد من الهزيمة إلى سحب قواته فوجد نفسه محاصرا من طرف قوات الحضنة وأولاد جلال التي قدمت لمناصرة ثورة الزعاطشة وكبدت القوات الفرنسية خسائر فادحة وفر العقيد "كربوسيا " وجنوده من قبضة الثوار بأعجوبة [3] بعد أن أصدر تعليمات لما تبقى له من جنود يأمرهم فيها أن يتخلصوا من أسلحتهم وينبطحوا إلى جانب القتلى وأن لا يبدوا أية حركة، وظن المسلمون أن جيش الاحتلال قُضي عليه نهائيا فقدموا التهاني والتعازي إلى بعضهم ثم رجعوا إلى ثكناتهم محملين بمختلف أنواع الغنائم.[4]

عزم الجنرال هيربيون حاكم قسنطينة التوجه بنفسه لمحاصرة الزعاطشة والقضاء على الثورة، واجتمعت القوات الفرنسية بكدية المائدة المقابلة لواحة الزعاطشة، وفي يوم 17 أكتوبر وبمساعدة قوات شيخ العرب الخائن بن قانة الموالي لفرنسا بدأ الحصار على مركز الثورة (قرية الزعاطشة) فرفض سكانها الاستسلام، وأمام إصرارهم على القتال قامت المدفعية الفرنسية يوم 26 نوفمبر 1849 بضرب الأسوار المحيطة بقرية الزعاطشة لإحداث ثغرات فيها، ومن خلالها يتمكن التغلغل داخل الواحة، واستمر الضرب من الصباح الباكر إلى منتصف النهار ... وتذكرنا هذه المعارك بمعارك قسنطينة عام 1837.[5]

دافع الشيخ بوزيان وابنه ونائبه الحاج موسى بكل شجاعة بعد نسف المنزل الذي كانوا يحتموا به بالديناميت ... وألقى القبض على بوزيان ثم سلم إلى الكومندان (دولافراند) فأخبر

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص92.

[2] محمد العربي الزبيري، ثورات الجنوب، مرجع سابق، ص57.

[3] عبد الله مقالاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1954)، مرجع سابق، ص48 ، 49.

[4] محمد العربي الزبيري، ثورات الجنوب، المرجع السابق، ص58،59.

[5] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، ص200.

الجنرال "هاربيون " أن عدوهم رقم واحد وقع حيا بين أيديهم وطلب منه التعليمات اللازمة في شأنه فأصدر الجنرال أمره بالقتل وطلب من الكومندان الاحتفاظ برأسه ليعرض أمام الناس حتى يكون العقاب مثالاً لمن تراوده نفسه على الثورة ضد الفرنسيين. [1]

بلغ مجموع القتلى الجزائريين أكثر من 800 شهيد خلال المعارك من بينهم الشيخ بوزيان وابنه ونائبه، فنكّل الفرنسيون بجثتهم وقطعوا رؤوسهم وحملوها إلى بسكرة ليعرضوها في الساحة على الناس، وخلال اقتحام الواحة ارتكب الفرنسيون جرائم بشعة فخربوا الواحة وهدموا دورها وقطعوا عشرة آلاف نخلة هي كل ثروتها وثروة سكانها وشنقوا 1500 شخصا أمام الملأ. [2]

لقد بعثت ثورة الزعاطشة تضامنا وطنيا رائعا أظهره سكان الواحة والمجاهدين الجزائريين الذين جاؤوا لمؤازرتهم من مختلف الجهات وظهر خلالها التصميم الحازم واستبسال السكان في مواجهة العدو ورفض الاستسلام ... منها بوسعادة التي وقعت فيها ثورة بقيادة الشيخ محمد بن علي بن شبيرة، وهو زعيم ديني دعا إلى الجهاد أثناء ثورة الزعاطشة، وأرسل النجدة إلى بوزيان وهاجم الحامية الفرنسية التي كانت في بوسعادة منذ 1843 ، كما انضم إليه أولاد نايل وعدد آخر من سكان الناحية ...[3]

كما برهنت ثورة الزعاطشة على عجز العملاء والخونة، فحاولت السلطات الفرنسية على إثرها أن تحد من نفوذ بن قانة وتعتمد أسر أخرى في حكم الصحراء... وتمكن الاحتلال الفرنسي من أن يعرض نفسه على المنطقة بقوة، وسوف تكون الزيبان بوابته في الصحراء ولم يكن ذلك يعني أن الفرنسيين سينعمون بالهدوء وأن انتفاضة الجزائريين ستتوقف.[4]

[1] محمد العربي الزبيري، ثورات الجنوب، مرجع سابق، ص73.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص97.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص339.

[4] عبد الله مقالاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر(1830 – 1954)، مرجع سابق، ص51.

4- ثورة سي الصادق بالحاج[1] (1856-1859):

بدأ الاستعداد لهذه الثورة سنة 1856 في شكل معارضة ضد منشور فرنسي كان يهدف إلى إلزام سكان نادي بسكرة بتسجيل أولادهم في المدرسة الفرنسية، وحسب تقرير ورد عن مكتب الشؤون العربية في بسكرة، قام سي الصادق بجولة عند الرشيش وبني سليمان وطوابة لشرح محتوى المنشور الموجه للأولياء قصد إقناعهم بعدم إرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية، إزداد عدد المنخرطين في دعوته وتوسع نفوذه بعد أن كان ينحصر في منطقة أحمر خدو وامتد إلى منطقة الزاب الشرقي ومنه إلى الأوراس الأوسط وقبائل البدو الرحل... لجأ سي الصادق إلى جبال الأوراس وراح يجمع بين إخوان سيدى عبد الرحمان وأنصار جدد ويحثهم على الجهاد في سبيل الله . [2]

وعندما أدرك الفرنسيون خطورة حركته هذه خافوا أن تصبح "زعاطشة ثانية" فقرروا مواجهتها بسرعة وقساوة في آن واحد وتعاون ضدها كل من الجنرال قاستو والجنرال ديغو، وعملا على محاصرة المقاومين الجزائريين، وخاض سي الصادق ورجاله معركة كبيرة في مشونش، كانت فوق طاقتهم عُدّة وعددا فاضطروا إلى أن ينسحبوا إلى الجنوب، لكن القوات الفرنسية والمتعاونين معها من رجال القوم بقيادة الموهوب بن شنوف ، اعترضوا سبيلهم في حوض وادي العرب واعتقلوا سي الصادق وثمانين رجلا آخرين في يوم 19 جانفي 1859[3]

تم تقديم سي الصادق وابنيه و11متهما معه إلى أول محكمة حرب في مقاطعة قسنطينة في 16 أوت 1859 ... وانتهت المحاكمة يوم 26 أوت بصدور حكم بالإعدام ضد سي الصادق وجميع المتهمين الذين كانوا معه، غير أنه نظرا لبعض الاعتبارات السياسية قرر حاكم المقاطعة تأييد الاستئناف لطلب العفو ... صدر الحكم القضائي النهائي

---

[1] سي الصادق (أو سي الصدوق) بن الحاج الذي ينتمي إلى قبيلة أولاد سيدي منصور شيخ وزعيم أولاد أيوب في جبل أحمر خدو، بسفوح الأوراس قرب بسكرة، تنسب إلى الرجل أعمال تؤكد عداءه الراسخ للفرنسيين، بالإضافة إلى الدعم الذي قدمه إلى ثورتي سي الصغير بالحاج وإلى سي بوزيان بالزعاطشة، ثم قاد الثورة بمنطقته إلى أن تم القبض عليه وحبسه بسجن الحراش حتى وافته المنية سنة 1862 في سن الثمانين (ارجع إلى: يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص135 وما بعدها)

[2] عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، مرجع سابق، ص144 .

[3] محمد العربي الزبيري، ثورات الجنوب، مرجع سابق، ص85.

في شهر نوفمبر وفحواه تخفيف الحكم بالإعدام إلى الحكم بالأشغال الشاقة لمدة 15 سنة ضد سي الصادق و10 سنوات ضد بقية المتهمين، باستثناء سي محمد بن صالح وهو من الملاك في سيدي عقبة (5سنوات سجنا) وسي الغزالي الذي استفاد من العفو التام.[1]

5- ثورة واحة العامري[2] (1876):

هي ثورة البوازيد وهي في الأصل قبائل هلالية، تنتسب إلى سيدي بوزيد الشيخ الفاضل الذي توفى سنة 1240م. [3]

إن السبب الأساسي الذي قاد إلى وقوع تلك الانتفاضة إنما هو الوازع الديني الناتج عن كون سكان الجزائر عامة كانوا مسلمين يرفضون في أغلبيتهم سيطرة الكفار الفرنسيين ' بالإضافة إلى السلوك السيئ للسياسة الفرنسية تجاه السكان في هذه المنطقة كما في غيرها، كذلك سعي السلطات الفرنسية لإعادة تنظيم إدارة المناطق الصحراوية بعد انتفاضة العظيم الشريف بوشوشة التي سبقت انتفاضة العامري [4].

إلا أن هذه السياسة لم تنجح لأن المباشرين للتطبيق من ضباط المكاتب العربية كانوا يمارسون سياسة الدس والإيقاع بين العائلات الكبيرة خاصة بين عائلتي ابن قانة وبوعكاز التي كان علي باي في هذه الفترة هو زعيمها وممثلها، هذا بالإضافة إلى معاناة السكان من قسوة الضباط الفرنسيين ضدهم في المعاملة واستخلاص الضرائب وأعمال السخرة [5] ،كما تعد دعوة الداعية الفقيه الشيخ أحمد بن عياش الذي كان رافعا شعار الجهاد في سبيل الله ويدعوا للاستعداد من أجل الاستشهاد في سبيل السيادة المغتصبة [6] ...

هذه هي إذن أهم أسباب انتفاضة واحة العامري، أما عن زعيمها فهو الشيخ محمد يحي بن محمد الذي أصبح يظهر نوعا من الكره لعائلة بن قانة وخاصة بعد وفاة أخيه الأكبر

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص153.

[2] تقع واحة العامري على بعد 48 كلم من جنوب غرب مدينة بسكرة، على مجرى مائي ينزل من جبل أكسول و يصب في وادي جدي، واندلعت فيها هذه المعركة الثورية المسلحة في ربيع 1876. (ارجع إلى: يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص275).

[3] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، ص 232.

[4] نفسه، ص 233.

[5] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع سابق، ص275.

[6] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، المرجع السابق، ص234.

مسعود والذي كان يشغل قاضيا في مدينة بسكرة – مسموما – في منزل الوكيل بالقاسم خمار... وشاع بين الناس بأن القائد محمد الصغير بن قانة هو الذي أوعز بتسميمه .... وصادف أن كتب سكان بسكرة ... رسالة للحاكم العام الفرنسي بالجزائر ... اشتكوا فيها ظلم عائلة بن قانة وتحيزها ضدهم، ومن ظلم الضابط الفرنسي كروزي ... رغم اكتشاف براءة محمد من كتابة هذه الرسالة فإن بولخراص بقي غاضبا من كاتبه وطلب منه أن يستقيل من منصبه ككاتب وكشيخ على أولاد إدريس ولكنه رفض وأصر على مواصلة زعامته لهم .

عزم محمد يحي على حمل السلاح بعد عودته من الاجتماع الذي دار بينه وبين بولخراص بن قانة والحاكم الأعلى جيليز ... فأقنع بني بوزيد بالاتفاق فيما بينهم ... وعندما علمت السلطات الفرنسية بأمر التحضير للثورة طلبت من بولخراص أن يرسل تقريرا يتضمن تفاصيل ما يحدث في واحة العامري، فعمل ابن قانة في بادئ الأمر على سياسة التفرقة وزرع الدسائس والفتن في أوساط الأهالي والإساءة إلى كل من محمد يحي وابن عياش ... كما أرسل تقريرا إلى الحاكم العام جيليز يقول فيه أن البوازيد مخلصون للسلطة الفرنسية وأن اجتماعاتهم كانت من أجل طلب الغيث (صلاة الاستسقاء) وليس الغرض منها الثورة[1]...

وفي صباح 8 مارس 1876 توجهت القوات الفرنسية بقيادة كارتيري رفقة البوازيد إلى تقرت وما إن وصلوا إلى منطقة مراير حتى انفصلوا عنه وكان ذلك في 11 مارس 1876 وحاولوا استغلال فرصة انفرادهم بالجنرال والهجوم عليه وعلى قواته في وادي ريغ لكنه تفطن لنية البوازيد فاضطر لعودة أدراجه [2] ... وبعد محاولات للتفاوض وانقضاء المدة التي منحت للبوازيد للعدول عن موقفهم، تحركت هذه القوات العسكرية في 9 أفريل 1876 ووصلت إلى بوشقرون في يوم 10 من نفس الشهر وعسكرت بالقرب من فوغالة. [3]

وفي صباح 11 أفريل على الساعة السابعة التحم الثوار الذين كان عددهم يزيد عن ألفين ومائة رجل، مع قوات كارتيري حول واحة العامري ونشبت معركة كبيرة قتل خلالها

[1] شهرزاد شلبي، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية في منطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 93.

[2] نفسه، ص.93

[3] نفسه، ص96.

زعيم الثورة محمد يحي وحوالي خمسين من رفاقه وجرح أحمد بن عياش كما جرح عدد من القوات الفرنسية وأعوانهم بينهم قائد بسكرة محمد الصغير بن قانة. [1]

وإذا كان القائد الشيخ محمد بن يحي قد استشهد في اليوم الأول من إشعال فتيل الثورة فإن المعارك قد تواصلت بقيادة الشيخ أحمد، وخلاله تمكن المجاهدون من القضاء على أعداد كبيرة من قادة و أجناد الجيش الفرنسي ومن العملاء التابعين لعائلة بن قانة ولغيرهم ممن باعوا ضمائرهم للغزاة ... [2]

وفي يوم 22 أفريل وصلت نجدات قسنطينة ... وبعد يومين وصلت نجدات بوسعادة وعسكرت كل واحدة في مكان خاص حول الواحة وأحاطتا مع قوات كارتيري من الشمال والجنوب والشرق والغرب، بينما تمركز القوم في جنوبها بقيادة بعض القواد الجزائريين المتعاونين مع القوات الفرنسية فأحكموا الحصار عليها.[3]

في27 أفريل شرعت القوات الفرنسية بقصف الواحة من جهاتها الثلاث باستعمال 14 مدفعا واستمر القصف العشوائي لمدافع العدو إلى غاية 29 أفريل، وبعد ثلاثة أيام من القصف المتواصل أُجبر المقاومون على الاستسلام، وأصبح مطلبهم الوحيد هو النجاة بأرواحهم [4].

وكانت خسائر واحة العامري البشرية والمادية كالآتي :

– استشهاد أربعمائة مجاهد وتهجير أغلبية باقي فروع القبيلة ... وتقول الروايات أن كل أولائك المهجرين تعرضوا إلى الجوع والمرض زيادة على التشرد.

– نفي أعداد من المجاهدين المعتقلين إلى جزيرة كورسيكا وجزيرة كايان وجزر كاليدونيا الجديدة.

– أن الجنرال كارتيري أمر باجتثاث اثنين وسبعين ألف نخلة من واحة العامري والواحات المجاورة وهدم مساكن الواحة وحرق معالمها.

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص282 ، 283.

[2] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، ص236.

[3] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص283.

[4] شهرزاد شلبي، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية، مرجع سابق ، ص99.

– أن الجنرال كارتيري باع في المزاد العلني فرس القائد محمد بن يحي وسلاحه وتقول الروايات أن الذي اشتراهما من عائلة بن قانة.

كما فرضت السلطات الفرنسية غرامات على سكان منطقة الزيبان وأرغمت السكان على القيام بأعمال السخرة في مد الطرق بين باتنة وبسكرة، ولم يصدر العفو على أولاد بوزيد إلا عام 1890 فسُمح لبعض العائلات بالعودة والاستقرار بالزاب الغربي. [1]

[1] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، ص284

ثانيا: المقاومة في الأوراس والحضنة:

1- ثورة سي محمد بوخنتاش[1] في الحضنة (1860):

الكثير من الكتاب الفرنسيين الذين تناولوا تاريخ المقاومة الشعبية في الجزائر أمثال لويس رين و وشارل فيرو ربطوا مقاومة أولاد عمر بالحضنة بشخصية محمد بوخنتاش البركاتي ولقبوه بالشريف وحاولوا إبراز البعد الأسطوري لهذه الشخصية وكراماتها مبتعدين عن الدوافع الحقيقية التي أدت إلى مثل هذه الانتفاضات والمرتبطة بالاحتلال ومستجداته على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، فقد اشتعلت نيرانها في شهر مارس 1860 ولكنها لم تعمر طويلا،[2] ورغم تعدد أسباب المقاومة إلا أنها تلتقي في البعد الوطني ورفض الاحتلال ... ومن أسباب هذه المقاومة :

- تصرفات القايد "سي المختار بن دايخة" قايد الحضنة تجاه المرابطين الأعراش الموالية لأحمد باي "كأولاد علي بن صابر وأولاد دراج "بتضبيق الخناق عليهم
- تمرد "أولاد دراج" باستمرارية ورفض الهيمنة الإدارية الاستعمارية.
- الامتيازات التي تحصل عليها القياد في الأراضي والسواقي والسدود على حساب الأراضي
- التضامن مع مقاومة الزاب الشرقي واحمر خدو والأوراس التي اندلعت من 1858 - 1859 .
- دور الطرق الصوفية والزوايا في دعوة الأعراش إلى رفض المحتل الكافر. [3]

لقد انتشرت بسرعة أخبار وانتفاضة محمد بوخنتاش إلى جهات كثيرة من منطقة الحضنة وانضم إليه سي العربي باش عدل، أولاد سحنون بمدينة بريكة وسي أحمد باي من أولاد منصور وأولاد زميره .[4]

---

[1] هو زعيم انتفاضة المسيلة وجبال الحضنة عام 1860 ضد الاحتلال الفرنسي، ينتمي إلى أولاد سيدي رحاب أشراف قبيلة أولاد دراج، الذين يدعون بالبراكتية. (ارجع إلى: يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 138)

[2] محمد العربي الزبيري، ثورات الجنوب، مرجع سابق، ص85.

[3] عباس كحول، تضامن الحضنة مع مقاومة الزيبان بين 1849 - 1860، المحلة التاريخية الجزائرية، المجلد 3 االعدد1، جوان 2019 ص 181 .

[4] يحي يوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص140.

خلال شهر مارس كانت أعراش أولاد دراج وأولاد عمر وأولاد نجاع والبراكتية و أولاد منصور تعلن الجهاد وراء الشيخ الشريف محمد بوخنتاش و من وراء 1800 بندقية مقاوم بالمنطقة، بل وصل تأثيرها إلى الزاب الشرقي ، فتحركت قوات الاحتلال لقمعها تحت قيادة الكولونيل "دومارست" والضابط "بان" من قسنطينة وباتنة وسطيف إضافة الى قوات القوم والزواف ومشاة الجيش الأفريقي والرماة .[1]

التحم الفريقان في معركة ضارية وحاسمة صباح يوم 25 مارس 1860 استعمل فيها حتى السلاح الأبيض في مكان دعاه شعراء الملحون "خنق أم حمام " وأصبحت المعركة تدعى بهذا الاسم على ألسنة السكان، ورغم مقتل عدد غير قليل من الفرنسيين وأعوانهم إلا أن المعركة انتهت بتخريب معسكر بوخنتاش، وتسليم بوخنتاش نفسه في نفس اليوم وكذلك مساعده سي احمد باي ... في حين قتل سي العربي باش عدل أولاد سحنون ، وطبق الفرنسيون كعادتهم أسلوب القتل والتشريد الجماعيين وتخريب عمرانهم وأملاكهم ، وحقولهم ، مبالغة في النكاية والإهانة والاحتقار.[2]

2- ثورة الأوراس (1879):

ظهرت هذه الانتفاضة المسلحة في منطقة جبال الأوراس الغربية أواخر شهر ماي 1879 بزعامة محمد أمزيان بن عبد الرحمان[3] وسكان أولاد داود في دائرة باتنة، وبني بوسليمان في دائرة بسكرة وكان وراءها عوامل سياسية واقتصادية واجتماعته [4] من أبرزها محاولة سلطات الاحتلال تفرقة وحدة الصف وتشتيت طبقات المجتمع [5] بالإضافة إلى الظلم والقهر وسوء المعاملة التي كانت تمارس من طرف سلطات الاحتلال ... التي كانت تنتزع من الأهالي أراضيهم وسائر ممتلكاتهم وتطردهم خارج المنطقة إذا لم تصيرهم عبيدا لها ...

[1] عباس كحول، تضامن الحضنة مع مقاومة الزيبان بين 1849- 1860، مرجع لسابق، ص182.

[2] يحي يوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص141.

[3] هو محمد أمزيان بن عبد الرحمان ويطلق عليه مؤرخنا محمد الصالح من عبد الرحمان كما يعرف في المنطقة بمحمد بن عبد الرحمان بن جار الله من مواليد 1849 بقرية جار الله ينتمي إلى الطريقة الرحمانية و كان إمام بجامع قرية الحمام و مدرس بمسجد سيدي الصادق بوقبرين (ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، 238).

[4] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق ، ص 287 ، 288.

[5] يشير مؤرخنا إلى الخصومات بين عائلة بن قانة وعائلة ابن شنوف المنحدرة من عائلة بوعكاز حول السيطرة والنفوذ السياسي القبلي. (ارجع إلى: محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، 239)

تقول الوثائق (حسب المؤرخ الزبيري) أن الشرارة الأولى انطلقت في يوم 30من شهر ماي سنة 1879 عندما وقعت محاولة اعتقال الشيخ محمد الصالح بن عبد الرحمان الذي كان منذ بداية السنة يحرض السكان ويدعوهم إلى الثورة ضد الغزاة المسيحيين[1] ... فتصدى لهم أنصار الإمام وقتلوا أحد رجال "قايد" أولاد داود سي الهاشمي بن بوضياف وجرحوا آخر، وعند حلول الليل كانت إشارة الانتفاضة العامة بقتل قائد بني سليمان ثم قائد أولاد داود لأنهما كانا يقودان مجموعة من عملاء فرنسا للقضاء على الثوار المناهضين للاحتلال الفرنسي في الأوراس [2] .

كانت المقاومة على شكل تمرد ضد ممثلي السلطة الفرنسية خلال الفترة من 30ماي إلى 7جوان ... وهي ما يمكن تسميتها بمرحلة القيّاد[3] ففي يوم 31 ماى ... هاجموا القائد مصطفى بن باش تارزي وقتلوه في منزله ... وفي ليلتي 5 و6 جوان هاجم الثوار برج القائد بن عباس مقدم الطريقة القادرية بوادي عبدي، وكان متغيبا عنه في باتنة بسبب مرضه وكبر سنه، فاحرقوه ولم يستطع ولده أن يحميه وينقذه ... وقد قتل خلال محاولته الدفاع عن منزل أبيه.[4]

ونظرا لخطورة الحركة، وتفاقمها وتطورها، على هذا الشكل اهتم الفرنسيون بأمره وطلب حاكم مقاطعة قسنطينة من الجنرال فور جيمول دوبوسكينار أن يعد ويجهز ثلاث فرق عسكرية ... لمحاصرة الثوار والتضبيق عليهم وحصار الحركة حتى لا تنتشر إلى جهات أخرى.[5]

تحركت الطوابير نحو الكتلة الجبلية المنتفضة وفق خطة تمكنها من محاصرة المقاومين ... يبدوا أن الثوار تكبدوا إثر هجوم 8 و 9 جوان خسائر معتبرة ... دامت المعارك حتى مطلع الصبح وهو الوقت عيَّنه المهاجمون للانسحاب نحو المرتفعات المجاورة. [6]

---

[1] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، ص 238.

[2] علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، دار المعرفة بيروت لبنان، ص 646 ،647.

[3] عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، مرجع سابق، 164.

[4] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص291.

[5] نفسه، ص293.

[6] عبد الحميد زورو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، المرجع السابق، ص165.

رغم ذلك فإن المهاجمين قد حققوا انتصارات خلدها التاريخ مثل الانتصار الذي نتج عن "معركة الأربعاء" شمالي مدينة باتنة التي دامت يومي 8 و9 جوان التي تكبد فيها جيش الاحتلال وأعوانه خسائر فادحة و معركة قرية توية التي دارت في 15 جوان.[1]

أما المرحلة الثانية فتمثلت في ملاحقة القوات الفرنسية للمجاهدين في الجبال، ففي يوم 12 جوان أمر الجنرال فورجمول بالبدء في عملية الزحف على منطقة الأوراس، وانطلاقا من قرية الربعة ... وتعرضت القوات الفرنسية لهجوم الثوار يوم 15جوان، وفي نفس الوقت كانت قوات الكولونيل كاجار تمرّ بمشونش ... وخاضت أول معركة مع الثوار فى مضيق تيرانيمين.[2]

ونظرا لعدم تكافؤ القوة انسحب الثوار وتوجهوا إلى الصحراء ومن هناك دخلوا جنوب تونس، لكن باي تونس ألقى عليهم القبض وسلمهم إلى السلطات الفرنسية [3] التي أنشأت مجلسا عسكريا وأصدر في حقهم الأحكام التالية :

- الحكم بالإعدام على الشيخ محمد بن عبد الرحمان وثلاثة عشر من مساعديه.
- الحكم بعشر سنوات سجنا على سبعة عشر من المساعدين الشباب.
- نفي أعداد غير مضبوطة إلى "كورسيكا" ، "كايان " و "غوايانا " الفرنسية.
- بالإضافة إلى كل ذلك تقرر إضرام النار في العديد من القرى ونفي عشرين أسرة نحو منطقة " القل" وثمان وعشرين أسرة نحو منطقة سطيف واثنتي عشر أسرة نحو منطقة "جيجل" ... وكذلك الاستيلاء على ثلاثة آلاف هكتار من الأراضي الجيدة وتسليمها إلى الجالية الأوربية[4]، إلا أن رئيس الجمهورية الفرنسية تدخل يوم 9 نوفمبر 1880 وخفف الأحكام الخاصة بالإعدام إلى الأشغال الشاقة.[5]

[1] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، ص 242.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 293.

[3] علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص647.

[4] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، المردع السابق، ص243.

[5] علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي المرجع السابق، ص647.

ثالثا: انتفاضة الجنوب الوهراني :

1 -ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1881) :

في عام 1864 اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ فرع الشراقة بالجنوب الوهراني، و كانت دوافعها كالعادة الأوضاع المتدهورة والظلم الاستعماري [1] وأسباب أخرى أبرزها :

- إرهاق السكان بالضرائب والغرامات ومصادرة أملاكهم العقارية والحيوانية.
- إقدام السلطات الاستعمارية على إلغاء المجالس الشرعية الإسلامية.
- محاولة الفرنسيين إضعاف مركز عائلة أولاد سيدي الشيخ بحرمانهم من منصب الخليفة (على المنطقة الممتدة من البيض إلى ورقلة) وإبداله بمنصب الباشاغا (على منطقة محدودة)
- تعرض أحد أفراد عائلتهم (سي الفضيل) للإهانة والضرب بالعصي والأرجل على يد الصبايحية التابعين لفرنسا. [2]

في يوم 29 جانفي 1864 اجتمع سي الفضيل بن علي خوجة (كاتب) الباش آغة سي سليمان، وعدد من أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ في ساحة البيض واخذوا يلعبون لعبة الهف وهي لعبة ذات شهرة ، ومنتشرة كثيرا في معظم مناطق الجنوب الوهراني ... وخلال اللعب تدخل أحد الصبايحية لصالح بعض اللاعبين فغضب سي الفضيل عليه ونهره، وأدى ذلك إلى مشادات كلامية ومشاجرة بينهما أدت إلى تدخل كل الصبايحية ضد سي الفضيل وقيامهم بضربه بالعصي والأرجل أمام الملأ، واعتبره الباشاغا سي سليمان إهانة شخصية له وعائلته كلها واستغله لإعلان الثورة، يعود تاريخها إلى شهر أفريل 1864 (المرحلة الأولى) عندما قام أتباع الطريقة البوشيخية المنتشرين عبر مختلف أنحاء الصحراء بإعلانهم الانضواء تحت قيادة الشيخ "سليمان بن حمزة "، وإشعال فتيل الثورة بدأ بالإغارة على مخيم الجيش الفرنسي الكائن بهضبة العوينة [3] أين قام المجاهدون بهجوم مفاجئ كبدوا خلاله العدو خسائر فادحة في الأرواح حيث لم ينج منها حتى قائدهم العقيد بوبريتر الذي قتل على يد سي سليمان بن حمزة قائد الثورة لكن هذا الأخير قتل أيضا لدوره في نفس اللحظة من

[1] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص211.

[2] بشير بلاح، تاريخ الجزائر العامر 1830 - 1989، مرجع سابق،ص 130،131.

[3] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، ص 246.

طرف حراس العقيد الفرنسي فخلف سي سليمان، أخوه سي محمد بن حمزة، حيث النصر جعل سائر القبائل تتفاءل خيرا وتنظمّ إلى صفوف الثوار.[1]

ومن أشهر المعارك التي خاضها الثوار يومها تلك التي وقعت بتاريخ الثالث عشر ماي سنة 1864 ومعركة "فرندة" بتاريخ الثاني عشر من شهر جويلية وتلك التي وقعت في الثلاثين من شهر سبتمبر من نفس السنة التي تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر فادحة.[2]
امتدت الثورة إلى معظم المناطق الداخلية والغربية والوسطى مابين شمال الصحراء والأطلس التلي وكذلك إلى واحات شمال شرق الصحراء، وقد هاجم المجاهدون القوات الفرنسية وعملائها من الخونة وقرى ومزارع المستوطنين على مدى 16عاماً، شهدت معارك عديدة أهمها :

- معركة غار سيدي الشيخ 4 فبراير 1865 وفيها استشهد الزعيم الثاني للثورة سي محمد .
- معركة حاسي بن عتاب في 16 مارس 1866 .
- معركه عمار الفيفور في 13 أبريل 1866 وكانت لصالح الفرنسيين وعملائهم .
- معركة أم دبدب في 1فبراير 1869 .
- معركة ماقورة 17 أبريل 1871 وكانت لصالح الفرنسيين.[3]

توالى على قيادة المقاومة كل من الشيخ سليمان بن حمزة ثم سي محمد بن حمزة ثم سي أحمد بن حمزة ثم سي قدور بن حمرة ، [4] واضطرت القوات الفرنسية لإبداء رغبتها في التفاوض مع سي قدور بن حمزة، لكن هذا الأخير الذي قبل التفاوض تراجع ودخل مع القوات الفرنسية في معركة يوم 17 أبريل1871 وقد أظهرت المعركة تقهقرا في جانب الثوار مردّه بروز الخلافات بين زعماء الثوار، وكانت معركة النقب في ديسمبر 1871 قاسمة للظهر إذ تفرق بعدها زعماء أولاد سيدي الشيخ في أماكن عديدة واختار سي قدور الجنوح للمفاوضات مع فرنسا، فشكل وفدا من عائلته واتجه إلى وهران ثم العاصمة واستقبله الحاكم العام في فيفري 1873 وقدم له الشروط الفرنسية للاستسلام ومنحه مدة ثلاثة شهر.

---

[1] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر،مرجع سابق، ص 212.

[2] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، ص 246.

[3] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989، مرجع سابق، ص131.

[4] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص211،212.

لقد تمكنت فرنسا من التغلب على الثورة في النهاية لأسباب عدة أهمها:

- تفوقها بالأفراد والأسلحة .
- انحياز عدد كبير من الخونة وضعاف النفوس إلى صفوفها .
- عزال الثورة عن المناطق الشمالية الأكثر سكانا.
- ارتكاب الجرائم البشعة بحق السكان لإرهابهم ودفعهم إلى معاداة الثورة .
- معارضة السلطات المغربية للثورة واضطهادها للمجاهدين .
- اختلاف المجاهدين مع كثير من القبائل المنافسة في الصحراء والهضاب .
- انقسام قادة الثورة على أنفسهم واستسلام بعضهم مند عام 1868 م.[1]

2- مقاومة الشيخ بوعمامة -المرحلة العسكرية- (1881- 1883):

يستهل مؤرخنا كتابته عن تاريخ المقاومة المسلحة بقيادة الشيخ بوعمامة[2] في رده على المؤرخ الفرنسي شارل روبير آجرون على أنها امتداد لمقاومة أولاد سيدي الشيخ منذ 1864 بل حتى قبل هذا التاريخ أي بعد التوقيع على اتفاقية لالة مغنية مباشرة 1845 [3] ويرجع مؤرخنا أسباب هذه المقاومة :

- الاتفاق المغشوش المبرم بين سلطان المغرب الأقصى والجنرال الفرنسي بوجو والموقع سنة 1845 في " لالة مغنية" ... استهدفت تقسيم قبيلة "أولاد سيدي الشيخ " ليتولى كل جانب السيطرة على الجزء المقيم بالأرض التي يسيطر عليها.
- سياسة الاستيطان ونهب الأراضي من خلال المراسيم الفرنسية من أشهرها ... القرار " المشيخي" سنة 1865 ، و مرسوم كريميو 1871 .
- التوسع الفرنسي نحو الجهات السهبية والصحراوية واستعداد الفرنسيين لإقامة مراكز للمراقبة في قصر "تيوت" حيث مقر زاوية بوعمامة. [4]

---

[1] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989، مرجع سابق، ص132.

[2] الشيخ بوعمامة : هو الشيخ محمد بن العربي بن إبراهيم بن التاج المعروف ببوعمامة من أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين استقروا بالمغرب الأقصى بعد إبرام معاهدة لالة مغنية في صيف 1845. (ارجع إلى: يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 298).

[3] محمد العربي الزبيري، الحركة الوطنية فى الجزائر، مرجع سابق، ص249.

[4] نفسه، ص 255.

– التأثر بفكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها السيد جمال الدين (الأفغاني) ونشاط الحركة السنوسية في المناطق الصحراوية ضد الاستعمار.

– رحيل قسم من القوات الفرنسية المرابطة بالغرب الجزائري تمهيدا لمشاركتها في غزو تونس 1881.[1]

أما عن السبب المباشر لهذه المقاومة حسب رأي مؤرخنا هو إعدام الملازم واينبريبر في يوم 22 أبريل 1881 وهو نائب رئيس المكتب العربي لمدينة البيض، عندما حاول أن يعتقل بالقوة مبعوثي بوعمامة وهما ابن الجرماني ، و مرزوق السروري، بأمر من رئيسه .[2]

لقد دامت ثورة بوعمامة طويلا بيد ان أهم فترة فيها من حيث المقاومة المسلحة هي الواقعة من 22 أفريل 1881 و 02 أفريل 1882 فخلالها جرت موقعة "مولاق" الشهيرة بين الجيش الفرنسي والثوار وخلالها سار بوعمامة وأتباعه مسيرتهم الطويلة نحو التل .[3]

معركة مولاق: بعد معركة سفيسفة (جنوب شرق عين الصفراء) يوم 27 أفريل 1881، اشتبك المجاهدون بالغزاة في معركة "مولاق" بين النعامة والأبيض سيدي الشيخ " واجه فيها 2300مجاهد أكثر من 4000 من الفرنسيين وأعوانهم بقيادة الكولونيل إينوسونتي كانوا مجهزين بأحدث الأسلحة وبالمدفعية وقد انتصرفيها المجاهدون بفضل روح التضحية، وتحديهم لمدفعية الفرنسيين الدين قتل منهم أكثر من 60 فردا .[4]

مسيرة الشيخ بوعمامة نحو التل : أما الحدث الثاني في هذه الثورة هو مسيرة بوعمامة نحو التل إثر موقعة " مولاق"، وتمثل المسيرة التي استغرقت ثلاثة وعشرين يوما من (30ماي إلى 21 جوان 1881) انتصارا ثانيا لبوعمامة على الجيش الفرنسي وذلك أن المتتبع لها يندهش لنجاحها ويلاحظ بوضوح عجز الجيش الفرنسي عن اللحاق ببوعمامة والتصدي له في

[1] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989، مصدر سابق، ص 305،306.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص302.

[3] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة1881 – 1908، موفم للنشر، الجزائر، ص7، 8.

[4] بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989، المرجع السابق، ص 307.

معركة فاصلة،[1] وقد عجزت الطوابير الفرنسية الكثيرة المتفوقة عن تطويق، الشيخ بوعمامة ورجاله، أو منعهم من الوصول إلى التل .[2]

وقد بقي بوعمامة خلال هذه الفترة سيد الموقف بالمنطقة واكتفى الفرنسيون بالدفاع فقط طوال فصل الصيف الحار، وبرهن الثوار على تفوقهم وذلك بتصديهم للطوابير الفرنسية ومهاجمتهم لفرق القومية كما قاموا بقطع خطوط الاتصال واغتيال بعض الخونة الجزائريين وقد أدهشت هذه المسيرة الإدارة والرأي العام الفرنسي خلفت حسب المؤرخ أجرون حوالى 53 قتيلا أما يحي بوعزيز فقد قدر الخسائر ب 287 رجلاً ومليون فرنك. [3]

الانسحاب إلى فيقيق ونهاية المقاومة المسلحة : عاد بوعمامة إلى الجنوب الغربي من جديد في حدود 14 جويلية 1881 ومنذ هذا التاريخ، كانت التقارير تفيد بوجوده بمدينة فيقيق [بالمغرب الأقصى] حيناً وبلبالة [واحة تقع بولاية بشار] حيناً آخر، وتبقى الأخبار ترد هناك عن استعداداته للثورة من جديد وعن بعض مناوشاته للجيش الفرنسي الملاحق له إلى كادت تنقطع أخباره الحربية في حدود أفريل 1882.[4]

ومع مطلع سنة 1883م تبدأ مرحلة جديدة من ثورة الشيخ بوعمامة أطلق عليها العديد من المؤرخين على غرار الدكتور يحي بوعزيز وعبد الله مقلاتي بالمرحلة السياسية التي عرفت فتورا عسكريا إذ لم تُجْدِ محاولات الشيخ في إعادة تنظيم صفوفه والاستعداد للمقاومة نفعا ... إلى أن توفي بإحدى المناطق النائية على الحدود المغربية خلال شهر أكتوبر سنة 1908م عن عمر ناهز السبعين عاما قضى منها حوالي 28 سنة في الجهاد والمقاومة.[5]

[1] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة ، مرجع سابق، ص21.

[2] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989، مرجع سابق، ص 307.

[3] عبد الله مقلاتى، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر(1830 – 1954)، مرجع سابق، ص80.

[4] عبد الحميد زوزو ، ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ص 29،30.

[5] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 314.

خاتمـــــــــــــــة

نعتقد بعد فراغنا من دراسة مختلف المقاومات المسلحة التي جاءت في كتابات المؤرخ محمد العربي الزبيرى وغيره من المؤرخين منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 وخاصة منها مقاومة الحاج أحمد باي بالشرق ومقاومة الأمير عبد القادر بالغرب والمقاومات الشعبية المسلحة (بعد 1847) بالجنوب على غرار مقاومات الزيبان كمقاومة الزعاطشة والأوراس والحضنة إضافة إلى مقاومات الجنوب الوهراني... يمكن الوصول إلى الآتي :

– أن الشعب الجزائري برهن منذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي رفضه الصارم لهذا الغزو الهمجي وسياسته الاستيطانية بجميع الوسائل الممكنة والإصرار على مقاومته بجميع الأدوات الفكرية او العسكرية.

– أن المقاومات الشعبية تشترك جميعها في هدف واحد وهو استعادة السيادة ورفض الوجود المسيحي الكافر، دافعها الأساسي الإسلام والوطنية الراسخة في الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري.

– أن حجم التضحيات كانت كبيرة والهمجية الفرنسية وجرائم الاحتلال كانت عبارة عن جرائم دولة وإبادة جماعية ضد شعب أعزل بهدف تغيير الديموغرافيا وإنهاء وجود شعب بكامله.

– أن الأقلام الفرنسية قد ساهمت في طمس وتشويه متعمّديْن لتاريخ هذه الحقبة الزمنية، هذا التشويه سوف يكلف الباحثين الجزائريين بذل مجهودات جبارة أكبر لاستكمال البحث وإحياء التراث المطموس لهذه المرحلة .

– أن مؤرخنا محمد العربي الزبيري قدم مساهمة ليظهر تاريخ بلادنا في مظهرها الحقيقي والرد على التشويه والتزييف المتعمّدين لمؤرخي الاحتلال والأقلام المأجورة.

– أن المقاومات المسلحة لم تحقق هدفها التي قامت من أجله لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية صحيح، إلاّ أنها استطاعت أن تبرهن على التماسك والتمسك الشعبي بثوابت الهوية الوطنية.

لقد التزمنا طوال هذا البحث بالموضوعية قدر الإمكان فعرضنا الأحداث كما هي بأمانة، وأشرنا إلى أسبابها ومراحلها ونتائجها، تارة بصراحة وتارة أخرى ضمنية واحتفظنا برأينا الخاص.

أملنا أن يكون هذا البحث المتواضع وما قد يتسم به من نقص وارد عن غير قصد، حافزا لغيرنا من الباحثين في التاريخ أن يبادروا بإثرائه و إتمامه وتصحيح ما قد يكون اندس فيه من أخطاء .

وأخيرا نحمد الله ونثني عليه أولا وآخراً ، ونسأله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم

تحيا الجزائر ... المجد والخلود لشهدائنا الأبرار ...

الذين ضحوا بأنفس ما يملكون ليعيش جيل اليوم في كنف الحرية والاستقلال.

ملاحـــــق

ملحق رقم 1

صورة لقائد المقاومة في الشرق

الحاج أحمد باي

(1) عمار بن محمد بوزير، المرجع السابق، ص 37.

ملحق رقم 2

صورة لقائد المقاومة في الغرب الجزائري

الأمير عبد القادر الجزائري

(1) بشير بلاح، المرجع السابق، ص 541.

ملحق رقم 3

تكريم الدكتور محمد العربي الزبيري من قبل وزير الثقافة السابق" عز الدين ميهوبي" خلال منتدى جريدة الحوار الجزائرية.

http://elhiwardz.com/ ، 2019/04/12، على الساعة 22:15

ملحق رقم 4

شهادة ميلاد المؤرخ محمد العربي الزبيري

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الداخلية و الجماعات المحلية

ولاية..الوادى.....
دائرة..قمار.....
بلدية..قمار.....

شهادة الميلاد

(نسخة كاملة (1) ـ مخرج (2))

رقم الشهادة ..00335..

في يوم (3)...الثامن عشر..أفريل..ألف وتسعمائة وواحد واربعون.....
على الساعة..العاشرة صباحا.....ولد(ت) بـ سيدي عقبة.....
بلدية سيدي عقبة.....ولاية..بسكرة.....
المسمى (ة) (4)..زبيري...العربي..... 1941/04/18
الجنس...ذكر.....
ابن (ة)..الصادق.....عمره../../../../..مهنته../../../../..
و..مسعودي..ضريفة.....عمرها../../../../..مهنتها../../../../..
الساكنين سيدي عقبة.....بلدية../../../../..ولاية../../../../..

حرر في الثامن عشر..أفريل..1939.....على الساعة..الثانية مساءا.....
بإعلان أدلى به السيد (ة)..الاب.....
و بعد اللاوة وقع معنا نحن..ضابط الحالة المدنية بالبلدية
البيانات الهامشية:
...تزوج مع..وقنوني..فضيلة يوم 1976/11/29 بـ القصبة..رقم العقد 561

حررت بـ قمار.....في 2025/04/09...
ضابط الحالة المدنية
الاسم اللقب الصفة التوقيع و الختم

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
النائب المفوض
السعيد دايخة

صالحة لمدة 10 سنوات
طبقا للقانون 08/14

L54AFXZLB768LPU638R

الكتابة السابقة للاسم و اللقب بالأحرف اللاتينية
ZOUBEIRI..Larbi

1 و 2 : حسب الحالة المرفقة
3 : كلمة (مخروط)
4 : الاسم و لقب المولود

مستخرج من مصلحة الحالة المدنية لبلدية قمار ولاية الوادي،2025/04/09

ملحق رقم 5

شهادة وفاة المؤرخ محمد العربي الزبيري

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الداخلية و الجماعات المحلية
ولايـــة .الوادى.....
دائرة . . قمار.....
بلديـة . . قمار.....

شهـــادة الوفـــاة
(نسخة كاملة (1)، مستخرج (2))

رقم الشهادة
.....00883.....

بتـاريـخ . .الثلاثون . سبتمبر . الفين واربعة و عشرون.....
بـــ . . . .القبة.....
على الساعة الخامسة مساءا ..... الدقيقة . الثلاثون.....
توفي (ت) المسمى (ة) . زبيري . . العربي ..... الجنس.....
المولود (ة) بـ . سيدي . عقبة ..... بلدية بسكرة ..... ولايـة . بسكرة.....
بتاريخ . . الثامن . عشر . أفريل . 1941 ..... المهنة . / . . / . . / .....
الساكن (ة) بـ . / .....
إبن (ة) . الصادق ..... الساكن بـ . / . . / . . / .....
و ابن (ة) مسعودي . ضريفة ..... الساكنة بـ . / . . / . . / .....
حرر ببلدية . القبة .....
ولاية . الجزائر .....
بتاريخ . . الثلاثون . سبتمبر . 2024 ..... على الساعة التاسعة مساءا و خمسون د.....
اعتمادا على تصريح أدلى به السيد . زبيري شوقي .....
وبعد التلاوة وقع معنا نحن . / . . / . . / .....
البيانات الهامشية.....
/ ..... لا شـــيء ..... /

اسم و لقب الزوج (ة)
.....
.....
.....
.....

M554F4ZLB7K1LPB63I8D

حررت بـ . قمار ..... في . 2025/04/09.....

ضابط الحالـــة المدنيـــة
الاسم و اللقب، الصفة، التوقيع و الختم

رئيس المجلس الشعبي البلدي
النائب المفوض
السعيد رايحة

الكتابة السابقة للاسم و اللقب بالأحرف اللاتينية
ZOUBEIRI Larbi

1 و 2 نسختان لعشارة الوفاة

مستخرج من مصلحة الحالة المدنية لبلدية قمار ولاية الوادي،2025/04/09

بيبليوغرافيا

بيبليوغرافيا

المصادر:

أولا: المذكرات الشخصية:

1.مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.

ثانيا: الكتب:

1. الأمير محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903.
2. تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تق تح تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر 2009.
3. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تق تح: محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر،2007.
4. شلوصر فندلين ، قسنطينة أيام أحمد باي 1832 – 1837"، تق تر أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
5. العنتري محمد الصالح ، تاريخ قسنطينة، تح يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

المراجع:

أولا: الكتب

1.بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830 – 1989، دار المعرفة، الجزائر، ج1

2.بوزير عمار بن محمد، مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري، شبكة الألوكة، الجزائر

3.بوضرساية بوعزة، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة الجزائر،2007

4.بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط2 دمشق، 1864

5.بوعزيز يحي، ثورات القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009

6.الجلابي عمر، الأوراس والزاب وعقبة المستجاب، ج1، مطبعة السلام، بسكرة 2017

7.الزبيري محمد العربي، الكفاح المسلح في عهد الأمير، ط2 دار الحكمة، الجزائر، 2014

8.الزبيري محمد العربي، الحركة الوطنية في الجزائر، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2022

9.الزبيري محمد العربي، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، ط2، دار الحكمة الجرائر، 2014

10.الزبيري محمد العربي، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر2023.

11.زوزو عبد الحميد، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي : التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837 – 1939،ج1 ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر

12.زوزو عبد الحميد، ثورة بوعمامة1881 – 1908، الجزء الأول،جانبها العسكري 1881 1883، موفم للنشر، الجزائر

13.سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1900، ج1 دار المغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1992

14.الصلابي علي محمد محمد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، دار المعرفة بيروت لبنان.

15.فركوس صالح، الحاج أحمد باي 1826–1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.

16.الفيلالي عبد العزيز، جرائم الاستعمار الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830 – 1850، دار الهدى، الجزائر.

17.مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر(1830 – 1954)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

18.منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر.

19.مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، (1837-1934)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

ثانيا: المقالات والمجلات:

1 الزبيري محمد العربي، "المقاومة في الجزائر1830-1848"، مجلة **الأصالة**، العدد29، فيفري 1976.

2 عالب الأخضر، "المجاهد والمؤرخ محمد العربي الزبيري سيرة ومسيرة"، مجلة **الربيئة**، العدد30، 10أكتوبر2024.

3 عويمر مولود، الدكتور محمد العربي الزبيري خطوات رائدة في الذود عن تاريخ الجزائر والثورة، التبيان، العدد 16، مارس 2023.

4 كحول عباس، تضامن الحضنة مع مقاومة الزيبان بين 1849 -1860، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 3 العدد 1، جوان 2019.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

1. شلبي شهرزاد، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية في منطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر تخصص تاريخ الأوراس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009.

2. مباركي أنس، محمد العربي الزبيري وإسهامه في كتابة التاريخ، مذكرة تخرج ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر2019.

فهرس المحتويات

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة.....4

فصل تمهيدي: التعريف بالمؤرخ محمد العربي الزبيري

أولا: المولد والنشأة العلمية.....10

ثانيا: نشاطه الثوري والسياسي.....12

ثالثا: أبرز مؤلفاته.....13

الفصل الأول: مقاومة الحاج أحمد باي

أولا: المقاومة العسكرية قبل غزو قسنطينة.....17

1- مشاركة أحمد باي في الدفاع عن العاصمة.....17

2- العودة إلى قسنطينة والاستعداد للمقاومة.....19

3- المناورات الفرنسية والمؤامرات الداخلية والخارجية.....20

ثانيا: الغزو الفرنسي لقسنطينة.....26

1- الحملة العسكرية الأولى 1836.....26

2- الحملة العسكرية الثانية 1837 وسقوط قسنطينة.....27

ثالثا: تجدد المقاومة العسكرية والاستسلام 30

1- تجدد المقاومة بعد سقوط قسنطينة.....30

2- التفاوض والاستسلام.....31

الفصل الثاني: مقاومة الأمير عبد القادر

أولا: البَيْعة وبداية المقاومة العسكرية.....34

1- بَيْعة الأمير.....34

2- معاهدة ديميشال.....37

3- بين الأمير والماريشال كلوزيل.....39

ثانيا: معاهدة التافنة وتنظيم الدولة.....43
1- معاهدة التافنة 1837.....43
2- تنظيم الدولة.....46
ثالثا: نقض المعاهدة والاستسلام.....49
1- نقض معاهدة التافنة..... 49
2- التفاوض والاستسلام..... 50

الفصل الثالث: الثورات الشعبية

أولا: ثورات منطقة الزيبان.....61
1- ثورة حسان بن عزوز(1840-1841) 61
2- ثورة محمد الصغير بن أحمد بالحاج (1841) 62
3- ثورة الزعاطشة (1849) 65
4- ثورة سي الصادق بالحاج(1856-1859) 69
5- ثورة واحة العامري(1876) 70
ثانيا: ثورات الأوراس والحضنة.....74
1- ثورة محمد بوخنتاش في الحضنة 1860.....74
2- ثورة الأوراس1879.....75
ثالثا: ثورات الجنوب الوهراني.....78
1-ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1881) 78
2-ثورة بوعمامة (1881-1883) 80
خاتمة.....84
ملاحق.....87
بيبليوغرافيا.....93
فهرس المحتويات.....96
ملخص.....98

ملخص:

عنوان المذكرة بالعربية:

"المقاومة العسكرية الجزائرية للاحتلال الفرنسي بين 1830 و1883 من خلال كتابات المؤرخ محمد العربي الزبيري"

يكتسي موضوع المقاومة العسكرية الجزائرية للاحتلال الفرنسي أهمية كبيرة، حيث مثلت ردة فعل طبيعية من شعب تعرض لاحتلال همجي، مارس كل أشكال الهدم والترحيل والنفي والإرهاب ... صاحبته سياسة التشويه والتزييف المُمنهجيْن من غُلاة الاحتلال ومن ورائهم المؤرخين الفرنسيين والأقلام المأجورة.

نهدف من خلال هذا البحث إلى تسليط الضوء على بعض المقاومات العسكرية المسلحة في الغرب والشرق، وفي الشمال والجنوب ضد الاحتلال الفرنسي بين 1830 و 1883م من خلال أقلام وطنية وفي مقدمتهم المؤرخ محمد العربي الزبيري الذي كان من الأوائل الذين صبغوا المقاومة المسلحة بالطابع الوطني وتصدى للرد على كتابات المؤرخين الفرنسيين وغلاة الاحتلال وتثبيت الأسباب الحقيقية لهذه المقاومات المسلحة المتمثلة في الدفاع عن الأرض والهوية والحياة الكريمة والاستقلال الوطني.

Summary:

Title of the Memo in Arabic:

“The Algerian Military Resistance to French Occupation between 1830 and 1883 through the Writings of Historian Mohamed Larbi Zbiri”

The Issue of Algerian military resistance to the French occupation holds significant importance, as it represented a natural reaction from a people subjected to a brutal colonization that employed all forms of destruction, displacement, exile, and terror. This was accompanied by a systematic campaign of distortion and falsification led by staunch supporters of the occupation and the French historians behind them.

This research aims to shed light on several armed military resistances across the west, east, north, and south of Algeria against the French occupation between 1830 and 1883, as documented by national voices—foremost among them, historian Mohamed Larbi Zbiri. Zbiri was among the first to characterize the armed resistance as a national movement. He confronted the narratives of French historians and colonial hardliners, affirming the true causes of the resistance: the defense of land, identity, dignified life, and national independence.